المُؤتمَر العلمي الدولي الأول لكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

التدابير الشرعية والعملية في مواجهة موجة الغلاء العالمية

عقيدة القضاء والقدر وأزمات المسلمين

بحثٌ مُقدَّمٌ إلى

المُؤتمَرِ الدَّوليّ الأوَّل لكليَّةِ أُصول الدِّين والدَّعوةِ بالمنصورة

بعنوان

التَّدابير الشَّرعيَّة والعَمَليَّة في مُواجهة مَوجةِ الغلاءِ العالميَّة

الأحد ٣ مارس ٢٠٢٤ م

إعداد

الدكتورة/ نوسه السيد محمود السعيد

مدرس في قسم العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

ملخص البحث باللغة العربية

عقيدة القضاء والقدر وأزمات المسلمين

نوسه السيد محمود السعيد

قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.

البريد الإلكتروني: NosaElsaid202.el@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى:

١- إبراز أهمية الإيمان بالقضاء والقدر، وموقعه من العقيدة الإسلامية.

٢- ذكر ثمرات عقيدة القضاء والقدر في حياة المسلمين بجميع أشكالها النفسية والاجتماعية وغيرهما.

٣- بيان أن أزمات المسلمين ليست بسبب هذه العقيدة ولا غيرها من عقائد الإسلام، بل بسبب البعد عنها أو بسبب الفهم الخاطئ لها.

٤- دفع شبهات المستغربين والمستشرقين عن عقيدة القدر.

ولتجلية حقيقة هذ العقيدة - معناها، وثمرتها، وإماطة اللثام عن الشبهات الدائرة حولها - سيجيب البحث عن عدة تساؤلات:

ما معنى القضاء والقدر؟ وهل أسهمت هذه العقيدة في ترسيخ - وإذكاء - مشكلات المسلمين: من التخلف، والجبن، والخور، والفقر، والحوادث، والظلم، والاستبداد، وغيرها كما يتراء للجاهلين من أهل الإسلام، ولأعدائه على حد سواء؟ أم أن الإيمان الحقيقي بهذه العقيدة له الأثر البارز في دفع هذه الأزمات، وجلب الثمرات المادية والنفسية للمؤمن؟

الكلمات المفتاحية: العقيدة، القضاء والقدر، أزمات المسلمين.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

The Doctrine of Divine Predestination and the crises of Muslims

Nosa Elsaied Mahmoud Elsaied
Department of creed and philosophy
College of Islamic and Arabic Studies for Girls, Mansora Branch - Al-Azhar University - Egypt
Email address: NosaElsaid202.el@azhar.edu.eg

Abstract:

The aim of this paper is that:

1- Highlighting the significance of the Divine Predestination Doctrine and its value at the heart of Islamic creed.
2- Mentioning the effects and fruits of this doctrine in the lives of Muslims in all its psychological, social and other levels.
3- Explening that the crises of Muslims are not due to this doctrine or any other, but rather due to the abonding or misunderstanding of it.
4- Refuting the suspicions of orientalists and Occidentalists about the Divine Predestination.

In order to clarify the truth of this doctrine, its meaning and its fruits, and to uncover the suspicions surrounding it, the research will revolve around several questions:

What is the meaning of predestination?

Did this doctrine contribute to consolidating and worsening the Muslims' problems of backwardness, cowardice, weakness, poverty, accidents, injustice, and tyranny, as ignorant people and enemies alike see?

Or does true belief in this doctrine have the most effective effect in averting these crises and bringing material and psychological fruits to the believer?

Key words: Doctrine, Destiny and Predestination, Muslim crises.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة السلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد

عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر من العقائد الأساسية عند المسلمين، بل هي ركن من أركان الإيمان التي نص عليها النبي - ﷺ - في حديث (جبريل) - عليه السلام - حينما سأل النبي ما الإيمان؟ فقال - ﷺ -: " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ "[1].

---

(١) والحديث أخرجه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلُونِي»، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «لَا تُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَخْشَى اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قَالَ: " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا رَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ "، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] قَالَ: ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُدُّوهُ عَلَيَّ»، فَالْتُمِسَ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا جِبْرِيلُ، أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا». أخرجه مسلم في صحيحه، باب الإسلام ما هو وبيان خصاله، كتاب الإيمان. (ص ١/ ٤٠ رقم ١٠) .

ورغم أنها من أركان هذا الدين؛ فإن اللغط وسوء الفهم لمعناها طوقها من أهلها، ومن أعدائها على حد سواء؛ ولذا كان هذا البحث بعنوان:

عقيدة القضاء القدر وأزمات المسلمين

سبب اختيار الموضوع:

١- إبراز أهمية الإيمان بالقضاء والقدر، وموقعه من العقيدة الإسلامية.

٢- ذكر ثمرات عقيدة القضاء والقدر في حياة المسلمين بجميع أشكالها النفسية والاجتماعية وغيرهما.

٣- بيان أن أزمات المسلمين ليست بسبب هذه العقيدة ولا غيرها من عقائد الإسلام، بل بسبب البعد عنها أو بسبب الفهم الخاطئ لها.

٤- دفع شبهات المستغربين والمستشرقين عن عقيدة القدر.

أهمية الموضوع:

١- عقيدة القضاء والقدر ركن من اركان الإيمان لا يصح الإيمان إلا بها.

٢- أهمية وجدوى رأب الصدع بين العقيدة كنظرية واعتقاد قلبي، وتطبيقها بالفعل في سلوكيات المؤمن وأفعاله.

٣- بناء سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة على الإيمان بعقيدة القدر بصورتها الصحيحة.

٤- تجلية العقائد والدفاع عنها في وجه الجاهلين والمشككين واجب كفائي على القادرين.

إشكالية البحث:

أهمها العلاقة بين النظرية والتطبيق العملي، وهل المؤمنون بتلك العقيدة يطبقون مضامينها في حياتهم و سلوكهم؟ .

وأيضا هل أسهمت هذه العقيدة في ترسيخ - وإذكاء - مشكلات المسلمين: من التخلف، والجبن، والخور، والفقر، والحوادث، والظلم، والاستبداد، وغيرها كما يتراء للجاهلين من أهل الإسلام، ولأعدائه على حد سواء؟ أم أن الإيمان الحقيقي بهذه العقيدة له الأثر البارز في دفع هذه

الأزمات، وجلب الثمرات المادية والنفسية للمؤمن؟ .

الدراسات السابقة:

١-القضاء والقدر وأصول العقائد الإسلامية وأمهات المسائل التوحيدية: جمال الدين الأفغاني، المكتبة المحمودية التجارية بمصر لصاحبها محمود علي صبيح.

٢- كتاب الإسلام والرد على منتقديه: الشيخ محمد عبده، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٤هـ/ ١٩٢٨م.

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث عدة مناهج أهمها المنهج التحليلي و المنهج النقدي .

خطة البحث:

ويتكون البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

أما المقدمة ففيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره، واشكالية، ومنهج البحث.

وتأتي مباحثه على النحو التالي:

المبحث الأول: معنى القضاء والقدر.

المبحث الثاني: القدر وأفعال العباد الاختيارية.

المبحث الثالث: القدر وواقع المسلمين.

١- شبهات حول القدر.

٢- رد الشبهات ودفعها.

المبحث الرابع: أثر الإيمان بالقضاء والقدر وقت الأزمات:

ثم تتناول الخاتمة أهم النتائج والتوصيات، ثم - أخيرًا - ثبت المصادر والمراجع.

المبحث الأول: معنى القضاء والقدر

١ - القضاء والقدر في اللغة:

القضاء في اللغة:

أ - قضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه؛ فيكون بمعنى الخلق.

ب - انقطاع الشيء وتمامه، وكل ما أحكم عمله، أو أتم، أو ختم، أو أعلم، أو أنفذ، أو أمضي فقد قُضِيَ.

جـ - الحكم.

د - المنية[١].

القدر في اللغة:

أ - "القضاء، والحكم وهو ما يقدره الله (ﷻ) من القضاء ويحكم به من الأمور.

ب - مبلغ الشيء.

جـ - القضاء الموافق يقال: قدره تقديرا إذا وافق الشيء شيئا قيل: جاء على قدره[٢].

إذن معاني القضاء تدور حول الخلق والإحكام والإمضاء، ومعاني القدر حول التقدير والحكم والقضاء فهناك تقارب والتقاء بينهما - أحيانًا - في اللغة.

---

(١) ينظر: أبو منصور الهروي: تهذيب اللغة، باب القاف والضاد، ص ٨/ ٢٠٧. ابن فارس: مجمل اللغة، باب القاف والطاء وما يثلثهما، ص ٧٥٧/١. ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ٢٠٩ (باب القاف) .

(٢) ينظر: الخليل بن أحمد: العين، ص ٥/ ١١٢. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٣٩٦. ابن منظور: لسان العرب، ص ٥٦ (باب القاف) .

٢ - المعنى الاصطلاحي للقضاء والقدر:

أ - رأي المتكلمين:

ترى المعتزلة أن القضاء والقدر بمعنى العلم، وتؤكد ذلك من خلال حكمها في هذه القضية، فترى أن الله قضى ما خلقه من الرخاء والشدة وغيرهما، فأما المعاصي والكفر فمعاذ الله أن يكون خلقها وقضاها وقدرها إلا بمعنى أنه أعلمنا إياها، وأخبرنا عنها كما قال - ﷻ -: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾[١]. بمعنى أعلمناهم، فأما أن يقال في ذلك إنه قضى بمعنى خلق وألزم فمحال، وكيف يصح أن يكون قد قضى الكفر، ثم يعاقِب عليه؟ وكيف يجوز في قضاء الله - ﷻ -، ولا يحل الرضا به، وقد ثبت من الأمة أن الرضا بقضاء الله واجب[٢].

وعند الأشاعرة:

قضاء الله: هو "إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال، وقدره: إيجاده إياها على قدر مخصوص، وتقدير معين في ذواتها وأحوالها"[٣].

وعند الماتريدية:

قضاء الله: هو عبارة عن الفعل مع زيادة إحكام.

والقدر: هو تحديد كل مخلوق بحده الذي يوجد من حسن وقبح، ونفع وضر، وما يحويه من زمان ومكان، وما يترتب عليه من ثواب وعقاب[٤].

وعلى هذا فالقدر قديم، والقضاء حادث عند الماتريدية، وعند الأشاعرة القضاء قديم، والقدر

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤.

(٢) ينظر: القاضي عبد الجبار: الأصول الخمسة المنسوبة للقاضي عبد الجبار، ص ٩٩.

(٣) الجرجاني: شرح المواقف، المجلد الرابع، ص ٢٠١.

(٤) ينظر: التفتازاني: شرح العقائد النسفية، ص ٥٦.

حادث، وهو قريب من مفهوم الفلاسفة – كما سيأتي – .

ب – رأي الفلاسفة:

القضاء: هو علمه – تعالى – بما يكون عليه الوجود منذ الأزل، والقدر: خروج ما قدر بالفعل إلى حيز الوجود بأسبابه.

فيقول (ابن سينا)[١]: "والقضاء من الله تعالى هو الوضع الأول البسيط، والتقدير هو ما يتوجه إليه القضاء على التدريج؛ كأنه موجب اجتماعات من الأمور البسيطة التي تنسب من حيث هي بسيطة إلى القضاء، والأمر الإلهي الأول"[٢].

والقضاء عند الفلاسفة هو المسمى (العناية)، وقد عرفها (ابن سينا) بقوله: "هي كون الأول عالما لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير، وعلة لذاته للخير والكمال بحسب الإمكان، وراضيا به على النحو المذكور، فيعقل نظام الخير على الوجه الأبلغ في الإمكان، فيفيض عنه ما يعقله نظاما

---

(١) ابن سينا: الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور، أحد فلاسفة المسلمين ولد ٣٧٠هـ وتوفي بهمذان ٤٢٨هـ؛ كان أبوه من أهل بلخ، وانتقل منها إلى بخارى، وتنقل الرئيس بعد ذلك في البلاد، واشتغل بالعلوم وحصل الفنون، ولما بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن علم القرآن العزيز، والأدب، وحفظ أشياء من أصول الدين، وحساب الهندسة، والجبر والمقابلة، كان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه، وصنف كتاب " الشفاء " في الحكمة، و " النجاة " و " الإشارات " و " القانون " وغير ذلك مما يقارب مائة مصنف ما بين مطول ومختصر ورسالة في فنون شتى، وله عدة رسائل منها: رسالة " سلامان وأبسال "ورسالة " الطير " وغيرها، . ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٢ ص ١٦١.د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ١ ص ٤٠.

(٢) ابن سينا: الشفاء (الإلهيات) ص ٤٤٠، راجعه: د/ إبراهيم مدكور، تحقيق: الأب قنواتي، والأستاذ/ سعيد زايد، منشورات ذوي القربى، ط: الأولى. والنجاة، ج ٢، ص ١٦٤، تحقيق: د/ عبدالرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، ط: الأولى ١٩٩٢م.

وخيرا على الوجه الأبلغ الذي يعقله فيضانا على أتم تأدية إلى النظام بحسب الإمكان"[١].

وعلى هذا فالقضاء – أو العناية عند الفلاسفة –: علمه تعالى بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن وأكمل الانتظام، والقدر: خروجها إلى الوجود العيني بأسبابها على الوجه الذي تقرر في القضاء[٢].

(١) ابن سينا: النجاة في المنطق والإلهيات، ج ٢، ص ١٤٤. والإمكان عند الفلاسفة: ما لا يستحق بذاته وجودا ولا عدما، فإن وجد صار محدثا بغيره". أ. د. محمد السيد الجليند: الإمكان، ص ٢٠٣، موسوعة العقيدة الإسلامية.

(٢) ينظر: الجرجاني: شرح المواقف، المجلد الرابع، ص ٢٠١.

المبحث الثاني: القدر وأفعال العباد الاختيارية.

وأفعال العباد الاختيارية من جملة القضاء والقدر؛ فالقدر نوعان:

الأول: القدر الجبري المهيمن على الكون:

فالقدر الجبري هو خلقه تعالى للكون وهيمنته عليه، فالخلق الأول للكون أوجده الله وأنشأه ونظمه، ولم يستشر الإنسان فيه، فالذي يهيمن على هذا الجانب من الأمر هو الجبر، والحاكمية المطلقة.

الثاني: القدر الكسبي المتمثل في أفعال الإنسان(١).

وللحقيقة فقد تباينت الآراء في قضية أفعال العباد إلى عدة آراء:

الأول: رأي الجبرية القائلون بأن الله هو الخالق وحده لأفعال العباد، وأن العبد لا حرية له ولا اختيار، يقول (الشهرستاني): "والجبرية أصناف فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا"(٢).

الثاني: رأي المعتزلة القائلون بأن العبد خالق أفعاله بقدرته واختياره، ولكن بقوة خلقها الله فيه، يقول القاضي (عبد الجبار)(٣): "ما يقع بحسب قصد العباد، وإرادتهم وشهواتهم، وبحسب قدرهم،

---

(١) ينظر: كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة، ص ١٨٤.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٩٧.

(٣) القاضي عبد الجبار: قَاضِي القضاة عَبْدُ الجَبَّارِ بنُ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ الجَبَّارِ بنِ أَحْمَدَ بنِ خَلِيْلٍ الهَمَذَانِيُّ الأسد آبادي العَلاَّمَةُ، المُتَكَلِّمُ، شَيْخُ المُعْتَزِلَة، أَبُو الحَسَنِ الهَمَذَانِيّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، مِنْ كِبَار فُقَهَاء الشَّافِعِيَّة، ولد سنة ٣٢٠هـ وامتد به العمر إلى ما فوق التسعين فتوفي ٤١٥ هـ، أو ٤١٦ هـ عرف بين المعتزلة بأنه قاضي القضاة. بدأ حياته في أسد آباد حيث حفظ القرآن، ثم في قزوين، وهمدان، وأصفهان. درس على عدد كبير من رجال الفقه الشافعي والمحدثين، ثم استقر بالبصرة، وتحول من المذهب الأشعري إلى مذهب المعتزلة على

=

وعلومهم، وبحسب جهلهم، وسهوهم؛ كالكتابة، والصياغة، والمشي والقيام، فهو فعلهم، وما يتعذر عليهم أو لم يقع بحسب أحوالهم فهو من فعل الله تعالى؛ فالأجسام، والألوان، والطعوم، والروائح، والتصوير، وغير ذلك، وكل ما يثبت أنه قبيح يعلم أنه من فعل العباد؛ لأنهتعالى - لا يفعل إلا الحسن، وكل ما يثبت أنه من فعلهتعالى - فيجب أن يكون حكمة وصوابا"[(١)].

الثالث: رأي أهل السنة - وهم يتوسطون بين الرأيين السابقين -:

فيرى الإمام (الأشعري)[(٢)] أن أكساب العباد مخلوقة لله - تعالى -؛ استنادًا إلى قوله سبحانه:

يد ابن عياش، ثم انتقل إلى بغداد، وعين قاضي لقضاة الري، وتنقل في بلاد عديدة، من كتبه: المغني (عشرون جزءا لم يطبع منها إلا أربعة عشر جزءا) - شرح الأصول الخمسة- المحيط بالتكاليف- طبقات المعتزلة- الدواعي والصوارف- الاعتماد- الخاطر- المنع والتمانع- الحكمة والحكيم . ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٢٤٥، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م. وينظر: أحمد بن يحيى المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١١٣. ينظر: ا د/ محمد السيد الجليند: موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص ٦٣٣- ٦٣٥، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر ٢٠١٤م.

(١) المختصر في أصول الدين، ص ٢٣٣.

(٢) الأشعري: أبو الحسن علي بن اسماعيل بن أبي بشر اسحاق بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله، وهو صاحب الأصول، والقائم بنصرة مذهب السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملاحدة، والمعتزلة، والرافضة، والجهمية، والخوارج، وسائر أصناف المبتدعة، وهو بصري سكن بغداد إلى أن توفي بها ولد سنة سبعين، وقيل: ستين ومائتين، وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلثمائة، وقيل: أربع وعشرين وثلثمائة، وقيل: سنة ثلاثين ببغداد، كان معتزليا، ثم تاب عن القول بالعدل وخلق القرآن في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة، من كتبه: اللمع- التبيين عن أصول الدين- الموجز- إيضاح البرهان. ينظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن =

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[١]، وقوله - ﷻ -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾[٢]، ولكن للعبد دخل في أفعاله يسميه الأشاعرة (الكسب).

والماتريدية ترى أن أفعال العباد تنسب إلى الله؛ لأنه هو الخالق لكل شيء، وتنسب إلى العباد لأنهم هم من اكتسبوها بإرادتهم، يقول الإمام (أبو منصور الماتريدي)[٣]: "وعندنا لازم تحقيقًا

محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٣ ص ٢٨٥، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت ١٩٠٠م. وينظر: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهري الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد رقم ٦١٤٢ ج ١٣ص ٢٦٠، تحقيق: دكتور بشار عواد، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٦.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٤، ينظر: اللمع، ص ٦٩. وينظر: الإبانة، ص٤٢، ٤٣.

(٣) أبو منصور الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي السمرقندي الحنفي: من أئمة علماء الكلام، الملقب ب"إمام الهدى" و "إمام المتكلمين، و "مصحح عقائد المسلمين" و "رئيس أهل السنة"، وإليه نسبة الماتريدية نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند) من كتبه: (التوحيد)، و (أوهام المعتزلة)، و (الرد على القرامطة)، و (مآخذ الشرائع) في أصول الفقه، وكتاب (الجدل)، و (تأويلات القرآن)، و (تأويلات أهل السنة)، و (شرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة)، مات بسمرقند بعد أبي الحسن الأشعري بقليل (٣٣٣هـ- ٩٤٤م) . ينظر: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ): الجواهر المضية في طبقات الحنفية ج ٢ ص ١٣٠ الناشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي. وينظر: اسماعيل بن محمد بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى ١٣٩٩هـ): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ص ٣٦/٢ طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة باستانبول ١٩٥١م- دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان. ينظر: الزركلي: الأعلام ج ٧ ص ١٩، .ينظر: عادل نويهض: معجم المفسرين من صدر

=

لفعل لهم (للعباد) بالسمع والعقل والضرورة... وليس في الإضافة إلى الله نفي ذلك، بل هي لله بأن خلقها على ما هي عليه، وأوجدها بعد أن لم تكن، وللخلق على ما كسبوها وفعلوها"[١].

فما هو الكسب الذي تقول به الأشاعرة والماتريدية؟

عرف الأشاعرة الكسب بتعريفين:

الأول: ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به؛ إذ لا تأثير من العبد، وإنما له مجرد المقارنة، والمؤثر الحقيقي هو الله – تعالى –.

الثاني: ما يقع به المقدور في محل قدرته[٢].

أي تعلق القدرة الحادثة بالمقدور في محلها من غير تأثير، وهو الذي يعول عليه في تفسير الكسب الأشعري – كما يقول أبو عذبة –[٣].

ويفسر (أبو عذبة) الكسب الماتريدي فيقول: "هو صرف القدرة إلى أحد المقدورين وهو غير مخلوق؛ لأن جميع ما يتوقف عليه فعل الجوارح من الحركات، وكذا التروك التي هي أفعال النفس؛ – من الميل والداعية والاختيار بخلق الله تعالى – لا تأتِّي لقدرة العبد فيه، وإنما محل قدرته عزمه عقيب خلق الله – تعالى – هذه الأمور في باطنه عزما مصمما بلا تردد، وتوجها صادقا للفعل طالبا إياه، فإذا وجد العبد ذلك العزم خلق الله – تعالى – له الفعل، فيكون منسوبا إليه من حيث هو

الإسلام وحتى العصر الحاضر ج ٢ ص ٦١١، تقديم مفتي لبنان الشيخ: حسن خالد مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر – بيروت– لبنان ط الثالثة ١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م. .

(١) الإمام أبو منصور الماتريدي: كتاب التوحيد، ص ٢٢٦.

(٢) حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد بتصرف، ص ١٧٦.

(٣) ينظر: الروضة البهية، ص ٢٦.

حركة، ومنسوبا إلى العبد من حيث هو زنا ونحوه"[١].

الرابع: رأي الفلاسفة:

يرى الفلاسفة أن الإنسان سبب قريب للفعل في سلسلة من الأسباب، تستند في النهاية إلى مسبب الأسباب – ﷻ –؛ لأن الفلاسفة يرون الترابط ضروريا بين الأسباب ومسبباتها.

يقول (الفارابي)[٢]: "فلن تجد في عالم الكون والفساد طبعا حادثا، أو اختيارا حادثا إلا عن سبب، ويرتقي إلى مسبب الأسباب، ولا يجوز أن يكون الإنسان مبتدئا فعلا من الأفعال من غير استناد إلى الأسباب الخارجية التي ليست باختياره، وتستند تلك الأسباب إلى الترتيب، والترتيب يستند إلى التقدير، والتقدير يستند إلى القضاء، والقضاء ينبعث عن الأمر، وكل شيء مقدر... فكل كائن من خير أو شر يستند إلى الأسباب المنبعثة عن الإرادة الأزلية"[٣].

وهذا ما أكده (ابن سينا) في النجاة إذ يقول: "وكل كائن بعد ما لم يكن فله علة، وكل إرادة لنا

---

(١) أبو عذبة: الروضة البهية، ص ٢٦. ينظر: التفتازاني: شرح العقائد النسفية، ص ٥٩، ٦٠.

(٢) ينظر: الجرجاني: شرح المواقف المجلد الرابع ص٥، ٦.

(٣) الفارابي الفيلسوف: أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التركي الحكيم المشهور، صاحب التصانيف في المنطق، والموسيقى، وغيرهما من العلوم، وهو أكبر فلاسفة المسلمين، واستفاد ابن سينا من كلامه وكتبه، وكان يعرف اللسان التركي وعدة لغات، وقيل: كان يعرف سبعين لسانا، ثم اشتغل بعلوم الحكمة، وبرز فيها. من كتبه: مَقَالَة فِي إِثْبَاتِ الكيمِيَاء- السياسة المدنية، توفي بدمشق سَنَةَ ٣٣٩هـ عَنْ نَحْوٍ مِنْ ثَمَانِيْنَ سَنَةً، وَصَلَّى عَلَيْهِ الملكُ سَيْفُ الدَّوْلَة بنُ حَمْدَان. ينظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٥ ص ١٥٣المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الأولى ١٩٩٤م. وينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٤١٨.

(٣) فصوص الحكم، رسائل الفارابي، ص ٢٢٤، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٧.

فلها علة، وعلة تلك الإرادة ليست إرادة متسلسلة في ذلك إلى غير النهاية، بل أمور تعرض من خارج أرضية وسماوية، والأرضية تنتهي إلى السماوية، واجتماع ذلك كله يوجب وجود الإرادة"[١].

أما (ابن رشد)[٢] فقد حاول أن يجمع شتات النصوص المتعارضة التي منها ما ينسب الخلق إلى الله، ومنها ما ينسبه إلى كسب الإنسان، فقال: "إن الله قد خلق لنا قوى نقدر بها أن نكتسب أشياء هي أضداد، لكن لما كان الاكتساب لتلك الأشياء ليس يتم إلا بمواتاة الأسباب التي سخرها الله لنا من خارج، وزوال العوائق عنها كانت الأفعال المنسوبة إلينا تتم بالأمرين جميعا، وإذا كان ذلك فالأفعال المنسوبة إلينا – أيضًا – يتم فعلها بإرادتنا، وموافقة الأفعال التي من خارج لها، وهي

---

(١) ابن سينا: النجاة، ج ٢، ص ١٦٤.

(٢) ابْنُ رُشْدٍ الحَفِيْدُ (٥٢٠– ٥٩٥هـ / ١١٢٦– ١١٩٨م) محمد بن أحمد بن محمد القرطبي الفيلسوف أَبُو الوَلِيْدِ. عرض (المُوَطَّأ) عَلَى أَبِيْهِ، وبرع في الفقه، وَالطِّب، والمنطق، والرياضيات، وَمَال إِلَى علُوْم الحكمَاء، فَكَانَتْ لَهُ فِيْهَا الإِمَامَة، وكان يفزع إلى فتياه في الطب، كَمَا يفزع إلى فتياه في الفقه، مع وفور العربية، وَوَلِيَ قَضَاءَ قُرْطُبَة، فَحُمِدَت سيرَته. وله من التصانيف: (بدَايَة المُجْتَهِد) فِي الفِقْه، وَ (الكُلِّيَّات) فِي الطِّب، وَ (مُخْتَصَر المُسْتصفَى) فِي الأُصُوْل، (تَهَافت التّهَافت) (منَاهج الأَدلَّة)، وَ (فَصل المَقَالِ، فِيمَا بَيْنَ الشرِيعَة وَالحِكْمَة مِنَ الاتصَال)، (شرح القيَاس) لأَرِسْطُو، وَمَات محبوسـًا بدَاره بِمَرَّاكش بسبب أقوال ردية رفعت عنه إلى الخليفة يعقوب، سنة ٥٩٤ أو ٥٩٥ هـ. ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٣٠٧– ٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ١٠٣٩/١٢ المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م. وينظر: عمر بن رضا كحالة (١٤٠٨هـ): معجم المؤلفين ص ٨/ ٣١٣، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي– بيروت

المعبر عنها بقدر الله"[١].

وهو متفق مع (ابن سينا) في أن ارتباط الأسباب بأسبابها ينبني عليه أن تقع الأفعال منسوبة إلى فاعلها المباشر، وأيضا لا تخرج عن تقديرهسبحانهالأزلي لها.

وستظل التفسيرات تترى، والاختلاف قائما، بين النصوص الدالة على إسناد الأمر كله لله، والنصوص الأخرى التي تثبت للعبد اختيارا ومسئولية عن الفعل، وهذا هو سر القدر الذي حار فيه العلماء، ونهوا عن الخوض فيه، كما ذهب إلى ذلك الإمام (محمد عبده)[٢] بقوله: "أما البحث فيما

---

(١) ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة، ص ٢٢٦.

(٢) الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ – ١٣٢٣ هـ = ١٨٤٩ – ١٩٠٥ م): محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، من مؤسسي النهضة المصرية الحديثة، وكبار الدعاة إلى التجديد والإصلاح في العالم الإسلامي، ولد بحصة شبشير من قرى إقليم الغربية، ونشأ بقرية "محلة نصر" من قرى شبراخيت بإقليم البحيرة. وأحب في صباه الفروسية والرماية والسباحة. وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر. وتصوف وتفلسف. وعمل في التعليم، وكتب في الصحف ولا سيما جريدة (الوقائع المصرية) وقد تولى تحريرها. وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين. ولما احتل الإنكليز مصر ناوأهم. وشارك في مناصرة الثورة العرابية، فسجن ٣ أشهر للتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨١)، وسافر إلى باريس فأصدر مع جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى)، وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف. وسمح له بدخول مصر، فعاد سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨) وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف، فمفتيا للديار المصرية (سنة ١٣١٧ هـ واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، ودفن في القاهرة. من مصنفاته: (تفسير القرآن الكريم) لم يتمه، و (رسالة التوحيد) و (الرد على هانوتو)، و (شرح نهج البلاغة) و (شرح مقامات البديع الهمذاني) و (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) .ينظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الأعلام ج ٦ص ٢٥٢ دار العلم للملايين ط ١٥ مايو ٢٠٠٢م. ينظر: عادل نويهض: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» ص ٥٦٦/٢.

وراء ذلك من التوفيق بين ما قام عليه الدليل من إحاطة علم الله وإرادته، وبين ما تشهد به البداهة من عمل المختار فيما وقع عليه الاختيار، فهو من طلب سر القدر الذي نهينا عن الخوض فيه، واشتغال بما لا تكاد تصل العقول إليه"[١].

وعلى الرغم من ذلك ستظل مسئولية الإنسان بداهة يعترف بها الجميع؛ كما يرى ذلك الشيخ) مصطفى صبري[٢] (حين يقول: "الإنسان مهما كانت عقيدته في مسألة أفعال العباد – بدافع العقل والنقل – فليس له أن يرى نفسه خارجا عن دائرة المكلفية والمسئولية"[٣].

---

(١) الإمام محمد عبده: رسالة التوحيد، ص ٦١، تحقيق: د/ محمد عمارة، دار الشروق، ط: الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

(٢) مصطفى صبري: (١٢٨٦ – ١٣٧٣ هـ = ١٨٦٩ – ١٩٥٤ م) من علماء الحنفية. فقيه باحث. تركي الأصل والمولد والمنشأ. ولد في (توقات)، وتعلم بقيصرية (في الأناضول)، وعين مدرسا في جامع محمد الفاتح، باستانبول، وهو في الثانية والعشرين من عمره. ثم تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية. وقاوم الحركة (الكمالية) بعد الحرب العالمية الأولى. وهاجر إلى مصر، بأسرته (سنة ١٩٢٢) فألف كتبا بالعربية، منها: (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين)، و (موقف البشر تحت سلطان القدر)، و (النكير على منكري النعمة في الدين والخلافة والأمة)، و (مسألة ترجمة القرآن)، و (القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون)، وله مؤلفات بالتركية طبع بعضها. ووفاته بالقاهرة. ينظر: الزركلي: الأعلام ج ٧ ص ٢٣٦. ينظر: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) معجم المؤلفين ص ٢٥٨/١٢.

(٣) الشيخ مصطفى صبري: موقف البشر تحت سلطان القدر، ص ١٧٧، المطبعة السلفية ومكتبتها لصاحبها محب الدين الخطيب، ط: الأولى القاهرة ١٣٥٢ هـ.

المبحث الثالث: القدر وواقع المسلمين.

ما من عقيدة من العقائد نالها سوء الفهم والانحراف عن معناها الصحيح مثلما نال عقيدة القدر؛ حتى صب عليها بعض المسلمين - وغير المسلمين - ما أصاب واقع المسلمين من تردٍ وسقوط على كل المستويات، فهل الإيمان بعقيدة القضاء والقدر معناه الإيمان بالجبر؟

وهل الإيمان بها سبب تخلف المسلمين؟

وهل الإيمان بها معناه الاستسلام والخنوع للظلم والاستبداد اللذين يمارسان بحق المسلمين؟

وهل الإيمان بها سبب الضعف والجبن والخور تلك الآفات التي تسري في شرايين الأمة؟

وهل الإيمان بها يعني الرضا بالفقر، والجهل، وحوادث الطرق والمواصلات، والقتل، والفساد؟

وهل الإيمان بها سبب للقناعة بالدونية، والرضا بالنزر اليسير من العدل، والحرية، والعلم، والتقدم، والمال، والأخلاق؟

كما ذكرت سلفا فإن عقيدة القضاء والقدر فهمت خطأ من بعض أهل الإسلام، وأعدائه على السواء، وكل هذه التساؤلات والشبهات - المطروحة سلفا - وردت في بعض الكتب، وترددت على بعض الألسنة، فما حقيقتها، وما موقعها من التصور الإسلامي الصحيح؟ .

لا يستطيع أحد أن ينكر تراجع المسلمين في مصادر القوة مادية كانت أو معنوية، ولا يستطيع عاقل أن ينكر تخلف المسلمين الحضاري، وتكالب الأمم عليهم، ولا ينكر أحد حالة الضعف والانهزامية التي تعيشها الجماهير المسلمة أمام الظالمين في الداخل والخارج.

فهل القدر هو سبب مشكلات المسلمين الحضارية والمعيشية؟

الإجابة ستكون - في الصفحات التالية - من خلال عرض تلك التساؤلات والشبهات والإجابة عنها.

أ - شبهات حول القدر:

هناك عدة شبهات أُلصِقت بهذه العقيدة من بعض أهلها - فضلا عن أعدائها - الذي نسبوا لها كل مشكلة تلم بحياة المسلمين؛ حضارية كانت، أو اقتصادية، أو نفسية.

وقد بحث الكواكبي[١] - وثلة من العلماء - في أسباب فتور الأمة، وتراجعها الحضاري، وتخلفها عن الأمم المعاصرة؛ فرأى أحدهم أن هناك بعض القواعد الاعتقادية والأخلاقية هي سبب تخلف الأمة؛ منها عقيدة القدر، والحث على الزهد، والكفاف من الرزق، وإماتة مطالب الجسد، والترغيب أن يعيش المسلم كميت قبل أن يموت، وبين أن كل هذه مفترات، ومثبطات، ومعطلات لا يرتضيها شرع أو عقل[٢].

وذهب بعضهم إلى أن يأس الأمة من المباراة والمنافسة بينها وبين غيرها من الأمم، واتكالها على عقيدة القدر، جعل أبناءها مستسلمين، يطلبون الفرج بالتمني والدعاء، ذاهلين عن أن الله جلت حكمته رتب هذه الدنيا على أسباب ظاهرية، ولم يشأ أن يجعلها كالآخرة عالم أقدار[٣].

---

(١) الكَوَاكِبي (١٢٦٥ - ١٣٢٠ هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٢ م): عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي، ويلقب بالسيد الفراتي: رحالة، من الكتاب الأدباء، ومن رجال الإصلاح الإسلامي. ولد وتعلم في حلب، وأنشأ فيها جريدة (الشهباء) فأقفلتها الحكومة، وجريدة (الاعتدال) فعطلت، وأسندت إليه مناصب عديدة. ثم حنق عليه أعداء الإصلاح، فسعوا به، فسجن وخسر جميع ماله، فرحل إلى مصر. وساح سياحتين عظيمتين إلى بلاد العرب وشرقي إفريقية وبعض بلاد الهند. واستقر في القاهرة إلى أن توفي. له من الكتب (أمّ القرى) و (طبائع الاستبداد)، وكان لهما عند صدورهما دويّ. وكان كبيرا في عقله وهمته وعلمه، من كبار رجال النهضة الحديثة. ولسامي الدهان، كتاب (عبد الرحمن الكواكبي) في سيرته. الزركلي: الأعلام ص٢٩٨/٣.

(٢) ينظر: عبد الرحمن الكواكبي: أم القرى، ص ٢٣، ٢٤، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م.

(٣) ينظر: أم القرى: الكواكبي، ص ٥٠، ٥١.

وقد أورد (الأفغاني)[١] شبهات الغرب حول القضاء والقدر وقام بدحضها؛ إذ نسب الغرب إلى عقيدة القدر ما حل بالمسلمين من فقر، وفاقة، وتأخر على المستويين الحربي والسياسي، وفساد في الأخلاق، وتفرق وتخاذل وجبن وخور، وغيرها من الصفات السلبية، واعتقدوا - كذلك - أنه لا فرق بين الإيمان بعقيدة القضاء والقدر وبين الاعتقاد بمذهب الجبر[٢].

وقد ذكر الشيخ (محمد عبده) كثيرا من الاتهامات التي رميت بها عقيدة القدر ورد عليها، ومن تلك الاتهامات ما ورد على لسان أحد منتقديها في الغرب وهو (المسيو هانوتو)، الذي يرى أن هذه العقيدة خاصة بالمسلمين - وهم الجنس السامي - دون الآريين - وهم الجنس الذي يفضله ويراه أعلى الأجناس - كما يقرر أن عقيدة القدر سبب في ضعف وتراجع المسلمين، فعندما يتحدث - على سبيل المثال - عن احتلال فرنسا لبلاد المسلمين، واستعمار أراضيهم، وعن موقفهم الضعيف الخانع تجاه هذا الاستعمار، تجده يقول: "عندئذ كان يطرق الآذان صوت البائسين، وقد جلسوا أمام دورهم، واضعين رؤوسهم بين أفخاذهم؛ لكثرة الغم والكدر، وهم يدعون الله، ويكررون قولهم عن فرنسا، يشبهونها بسرادق كبير إذا حاول الإنسان خلعه فلا يزال له السمو عليه، ويختمون

---

(١) الأفغاني: السيد جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨- ١٨٩٧) من أبرز علماء الإسلام في القرن التاسع عشر ولد بأفغانستان، ويتصل نسبه بالإمام الترمذي، وتوفي بتركيا، وطاف الشرق والغرب؛ مدافعا عن الإسلام ووحدة المسلمين ومهاجما الاستعمار، أنشأ جريدة العروة الوثقى، وهاجم المذهب المادي، ودافع عن الإسلام وقضاياه. ينظر: عبد المنعم الحفني: موسوعة الفلسفة والفلاسفة ج ١ ص ٤٦٨، ٤٦٩، مكتبة مدبول، ط الثالثة ٢٠١٠م.

(٢) ينظر: القضاء والقدر وأصول العقائد الإسلامية وأمهات المسائل التوحيدية: جمال الدين الأفغاني: ص ٦- ٧. المكتبة المحمودية التجارية بمصر لصاحبها محمود علي صبيح.

كلامهم بقوله (وكان هذا قدرا مقدورا) "[١].

فهو – هنا – يذهب إلى أن الجنس الآري هو سبب تقدم فرنسا، وعلو شأنها، إلى الدرجة التي لا يستطيع المسلمون المساس بجنابها، فضلا عن هزيمتها، ويرى أن المسلمين يؤولون هزيمتهم ونكبتهم، بأن هذا من قدر الله تعالى.

والفكرة ذاتها أذاعها (ول ديورانت)[٢] حين أشار إلى أن القضاء والقدر هما نوع من الجبر، وأن الإيمان بهما من أسباب تخلف العرب في العصور المتأخرة؛ فنراه يقول في كتابهقصة الحضارة -: "وهذا الإيمان بالقضاء والقدر، جعل الجبرية من المظاهر الواضحة في التفكير الإسلامي، وقد استعان بها النبي وغيره من الزعماء؛ لبث الشجاعة في قلوب المؤمنين عند القتال؛ لأن ساعة الموت لا يقدمها حظر، ولا يؤخرها حذر، وبفضل هذه العقيدة لاقي المؤمنون أشد صعاب الحياة بجنان ثابت، ولكنها – أيضًا – كانت من الأسباب التي عاقت تقدم العرب، وعطلت تفكيرهم في القرون المتأخرة"[٣].

والتناقض واضح – في كلامهفكيف كانت عقيدة القدر سببًا لإقدام وثبات المسلمين، ونصرتهم في معاركهم؟ وكيف أصبحت سببا لتخلفهم وتراجعهم؟ .

---

(١) المقالة الأولى للمسيو هانوتو في كتاب الإسلام والرد على منتقديه: الشيخ محمد عبده، ص ١٤، المكتبة التجارية الكبرى – مصر ١٣٤هـ – ١٩٢٨م.

(٢) ديورانت ويل: أمريكي ولد ١٨٨٥م من اشهر ما كتب قصة الفلسفة وقصة الحضارة وهما من افضل الكتب في موضوعهما وترجم الأول منهما إلى كل لغات العالم ويتبنى الفلسفة الطبيعية في كتاباته. ينظر: عبد المنعم الحفني: موسوعة الفلسفة والفلاسفة ص ٦١٣– ٦١٤.

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة، ج١٣، المجلد الرابع: عصر الإيمان، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل ـ بيروت – لبنان.

وذهب المستشرق (واشنجتون إيرفنج)[١] إلى قريب من هذا - كأنما ينطلقون من قوس واحدة - حين زعم أن من قواعد الإسلام قاعدة الجبرية، وأن محمدا - ﷺ - اعتمد عليها لنجاح شئونه الحربية، ووصفها بأنها هي التي تقرر أن كل حادث يقع قد سبق في علم الله تقديرهومن ذلك الأجل - وبهذا الاقتناع كان المسلمون يخوضون غمار المعارك دون خوف، فما دام الموت في هذه المعارك هو عدل الاستشهاد الذي يسرع بصاحبه إلى الجنة؛ فقد كانت لهم الثقة بالفوز في حالي الاستشهاد أو الانتصار، ويضيف - مؤكدا ما ذهب إليهأن هذه العقيدة قد جعلت جند المسلمين لا يكاد يغلبهم غالب، لكنها احتوت - كذلك - على السم الذي يقضي على سلطانه، فمنذ اللحظة التي كف فيها خلفاء النبي عن الغزو، وأغمدوا سيوفهم بصفة نهائية؛ بدأت العقيدة الجبرية تعمل عملها الهدام؛ فصار المسلم ينظر إلى ما يصيبه من بأساء على أنها من قدر الله الذي لا مفر منه، وما يجب عليه إلا الإذعان، وهذا سبب ما أصاب المسلمين من اندحار حتى محق الصليب الهلال[٢].

والتناقض واضح في هذا الرأي كسابقه تمامًا.

وأشار الشيخ (مصطفى صبري) إلى أن عقيدة القدر اتهمت من أعدائها وأبنائها؛ بكونها سائقة لمعتقديها إلى الكسل، والقعود عن السعي والعمل، وسببا لتأخر المسلمين في حلبة الحياة الدنيا، وأورد عن أحد الكتاب المسلمين ادعاءه أن الأمم التي لا تدين بالإسلام تتمتع بمباهج الحياة، والتقدم والمدنية؛ بسبب عدم تشرب قلوبهم عقيدة القدر، أما الأمم الإسلامية فحالها الانقسام، والتباغض، والتحاسد، والجهل، والتأخر؛ وسبب ذلك الخمول الناتج عن فهم القضاء والقدر

---

(١) واشنطن ايرفنج: مستشرق أمريكي من آثاره: سيرة النبي العربي مزيلة بخاتمة لقواعد الإسلام ومصادره الدينية (١٨٤٩)، وفتح غرناطة (١٨٥٩)، وتاريخ فتح غرناطة (١٩٠٥)، وأوراق اسبانيا. ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقن ج ١ ص ٩٩٢.

(٢) ينظر: محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص ٥٠٥- ٥٠٨، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

مقلوبا[١].

ثم رأى الشيخ أن الشاكين من عقيدة القدر، القائلين باحتياجها إلى التصحيح، استندوا في دعواهم إلى أن العوام يقترفون المعاصي ويحتجون بالقدر على فعلها[٢].

ويرى الشيخ (محمد الغزالي) أن جبن بعض الناس وعدم استطاعتهم الاعتراض والرفض للقوى الأعلى منهم جعلتهم يرمون المسؤولية ويتهمون القدر بدلا عن توجيه الاعتراض؛ خوفا وضعفا، فيقول: "يتخلص الناس من عناء الاعتراض على النظم الفاسدة والأوضاع الجائرة والأحكام المستبدة والخلل الاقتصادي وانتشار الزلفى والمحسوبية والمظالم يتخلصون من الاعتراض على هذا كله باتهام القدر الأعلى"[٣].

وتتكرر الاتهامات في العصر الحديث من التيار الحداثي، الذي وصم عقيدة القدر بالجبرية، ورآها عقيدة بائدة، كانت مناسبة قديما مع قدوم الوحي، أما حديثا؛ فينبغي أن تفنى وتستبعد مع تطور الجنس البشري، فيقول (حسن حنفي)[٤]: "لم يصبح الإيمان بالقضاء والقدر - فقط -

---

(١) ينظر: الشيخ مصطفى صبري: موقف البشر تحت سلطان القدر، ص ١٣- ١٤.

(٢) ينظر: الشيخ مصطفى صيري: موقف البشر تحت سلطان القدر، ص٢٢١.

(٣) الشيخ محمد الغزالي: الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين، ص ٥٣، دار نهضة مصر، ط السادسة ٢٠٠٥م..

(٤) حسن حنفي: (١٩٣٥- ٢٠٢١م) مفكر مصري، وأستاذ جامعي، يعد واحدا من منظري تيار اليسار الإسلامي، وأحد المفكرين العرب المعاصرين من أصحاب المشروعات الفكرية العربية، من مؤلفاته: التراث والتجديد، من العقيدة للثورة، من النقل إلى الإبداع، في فكرنا المعاصر. ينظر: ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki/// وينظر: "مصر.. وفاة "الفيلسوف الإسلامي" المفكر حسن حنفي"، وكالة الأناضول، ٢١ أكتوبر ٢٠٢١.

إحدى عقائد الجبر، وأحد الحلول للفعل الإنساني، بل أصح إيمانا أعمى مكتفيا بذاته"[١].

ويقول – أيضًا – في عدم مناسبة تلك العقيدة للتطور البشري" وإذا كانت عقيدة قال بها جميع الأنبياء؛ فقد كان ذلك طبيعيا في مراحل الوحي السابقة، قبل أن تكتمل تربية الجنس البشري، حتى يستقل عقل الإنسان وإرادته أمام نظام الطبيعة الثابت"[٢].

ب – رد الشبهات ودفعها:

١- هل القضاء والقدر جبر محض؟

لا يوجد مسلم اليوم – أيا كان اعتقادهيؤمن بمذهب الجبر المحض، معتقدا سلب الاختيار عن نفسه، بل إن كل الطوائف المسلمة تعتقد أن لهم جزءا اختياريا في أعمالهم يسمى (الكسب) عليه مناط الثواب والعقاب والتكليف، وبه تتم الحكمة والعدل[٣].

وحتى مذهب السلف يقرر تلك الحقيقة، فها هو ذا ابن تيمية يقول: " مما ينبغي أن يعلم أن مذهب سلف الأمة – مع قولهم الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه على كل شيء قدير، وأنه هو الذي خلق العبد هلوعا؛ وإذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا، ونحو ذلك – إن العبد فاعل حقيقة، وله مشيئة وقدرة"[٤].

وعلى هذا ينبغي ألا نعلق مشاكلنا الدنيوية – وحتى معاصينا – على الجبر، فقد جاء القرآن

---

(١) حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة الإنسان المتعين، ج ٣، ص ٨٥، دار التنوير بيروت – لبنان، المركز الثقافي العربي بيروت – لبنان، الدار البيضاء – المغرب، ط: الأولى ١٩٨٨م.

(٢) حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، ج ٣، ص٨٢. .

(٣) ينظر: جمال الدين الأفغاني: القضاء والقدر وأصول العقائد الإسلامية وأمهات المسائل التوحيدية، ص ٨.

(٤) أحمد عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ): مجموعة الرسائل والمسائل، ج ٥، ص١٤٢، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي.

الكريم يعيب على أهل الجبر رأيهم، وينكر قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾[١]، وأثبت الكسب والاختيار في نحو أربع وستين آية، وما جاء به مما يخالف ذلك فإنما جاء في تقرير السنة الإلهية العامة، المعروفة بنواميس الكون، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ونحوها[٢].

والفطرة الإنسانية تنبئ عن وجود القضاء والقدر "الاعتقاد بالقضاء والقدر يؤيده الدليل القاطع، بل ترشد إليه الفطرة، وسهل على من له فكر أن يلتفت إلى أن كل حادث له سبب، يقارنه في الزمان، وأنه لا يرى من سلسلة الأسباب إلا ما هو حاضر لديه، ولا يعلم ماضيها إلا مبدع نظامها، وإن لكل منها مدخلا ظاهرا فيما بعده بتقدير العزيز العليم، وإرادة الإنسان إنما هي حلقة من حلقات تلك السلسلة"[٣].

وفعل النبي ﷺ دليل على معنى الإيمان الحقيقي بهذه العقيدة، فقد جاء في عمله ﷺ وقوله ما يؤيد ذلك "فكان العامل الذي لا يكل، والدائب الذي لا يمل، والساهر الذي لا ينام، والجاد الذي لم يبلغ شأوه أحد من الأنام"[٤].

فلم ينقل عنه أنه نام على وسادته واكتفى بالتسليم للقدر، أو قعد عن دعوته مدعيا أن الله سينصره ويكفيه، وجاء أصحابه على أثره وتبعهم من جاء بعدهم من السلف؛ فكانوا أكمل الناس إيمانا بإحاطة علمه وشمول قدرته، وكانوا أسوة في السعي والدأب والكسب، وكان من أثرهم في

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

(٢) ينظر: محمد عبده: الإسلام بين العلم والمدنية، ص ٥١، والآية في سورة هود: الآية: ١١٨.

(٣) ينظر: جمال الدين الأفغاني: القضاء والقدر وأصول العقائد الإسلامية وأمهات المسائل التوحيدية، ص٩.

(٤) الإمام محمد عبده: الإسلام بين العلم والمدنية، ص ٥٢.

نشر الإسلام ما لم يتأتى لغيرهم من الأمم[١].

وهناك الاعتبارات العملية والعلمية؛ فهي تؤكد واقعية هذه العقيدة؛ فمن ناحية الاعتبارات العملية في الفقه والتشريع فإن: "الاختيار في التصرف ما يزال الأساس للجزاء عند أكثر الفقهاء، ودليلهم عليه أن مسلوب الحرية والاختيار؛ كالمجنون، والصغير، والسفيه لا يجزي عن عمله ما يجزى الرشيد، الذي يميز بين الخير والشر"[٢].

أما بالنسبة للاعتبارات العلمية والفلسفية؛ فنجد الجبرية واضحة؛ حيث لم يختر أحد العصر الذي وجد فيه، ولا البيئة التي نشأ فيها، ولا أبويه، ولا فقرهما أو غناهما، ولا فضلهما أو نقصهما، ولا كونه ذكرا أو أنثى، ولا ما يحيط به من أحداث "ومع ذلك لم يقل أحد في الغرب، ولا في الشرق بأن هذا المذهب الجبري يحول بين المرء والسعي للنجاح في الحياة، أو يحول بين الأمم والوثوب إلى خير مكان، ولم يقل أحد بأن هذا المذهب يؤدي إلى تدهور الأمم التي تأخذ به، هذا مع أن المذهب الجبري في الغرب لا تؤيده في السعي والعمل آيات كالتي تلوت من آيات القرآن عن تبعة الإنسان عن عمله ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠﴾[٣] أفلا ينهض هذا وحده دليلا على تحامل المستشرقين، الذين يزعمون أن جبرية الإسلام قد أدت إلى تدهور الأمم الآخذة به، بل إن الجبرية الإسلامية لأكثر حضا على السعي إلى الخير والفضل، وإلى ابتغاء الرزق من الجبرية الغربية"[٤].

فالجبرية الغربية والإسلامية تتفقان على أن للكون سننا لا تتغير؛ إلا أن الإنسان في الجبرية

---

(١) ينظر: الإسلام بين العلم والمدنية، ص ٥٢.

(٢) محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص٥١٠.

(٣) سورة النجم: الآية: ٣٩- ٤٠.

(٤) محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص٥١١.

الغربية خاضع لبيئته خضوع إذعان لا مفر منه، وكذلك ارادته، أما القرآن فيدعو إرادة كل فرد لتتوجه إلى ناحية الخير، مع الوضع في الحسبان أنهم لا ينالون هذا الخير من غير سعي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[١].

٢ - هل القضاء والقدر عقيدة سامِيّة فقط؟

فكرة القضاء والقدر، وفكرة وجود قوة قادرة ترتب الكون، وتقدر فيه أقواته وأرزاقه المادية والمعنوية، بل ومسؤولة عن سير الأمم والحضارات؛ صعودا وهبوطا؛ فكرة سيطرت على عقل الإنسانية قديما وحديثا؛ المؤمنين منهم بدين وغير المؤمنين، وهذا ما يعترف به العلماء، والفلاسفة، وعلماء النفس في كل زمان.

فالكلام في القدر لم يختص بملة دون أخرى، وليس بمذهب سامٍ، بل نبتت أصوله بين الآريين، ثم انتقلت إلى غيرهم، فهل ترك يهودي العمل اتكالا على القدر؟ وهل ركن الفينيقيون إلى النوم والراحة، وتركوا زوارقهم في البحار اعتمادا على ما يسوقه الغيب؟ وعلى الجانب الآخر فقد كان من الرهبان جيش يعيش عالة على الناس، حتى ضجت بهم أوروبا في زمن من الأزمان، وكذا اشتهر مذهب أهل البخت والاتفاق بين اليونانيين[٢].

يقول الأفغاني: " إن للتاريخ علما فوق الرواية، عني بالبحث فيه العلماء من كل أمة، وهو العلم الباحث عن سير الأمم في صعودها وهبوطها، وطبائع الحوادث العظيمة وخواصها، وما ينشأ عنها من التغيير والتبديل... هذا الفن - الذي عدوه من أجل الفنون الأدبية وأجزلها فائدة - بناء البحث فيه على الاعتقاد بالقضاء والقدر، والإذعان بأن قوى البشر في قبضة مدبر للكائنات، ومصرف

---

(١) الآية، سورة الرعد: ١١، وينظر: محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص ٥١١.

(٢) ينظر: الإمام محمد عبده: الإسلام بين العلم والمدنية، ص٥٠، ٥١، كلمات عربية للترجمة والنشر.

للحادثات ولو استقلت قدرة البشر بالتأثير ما انحط رفيع، ولا ضعف قوي، ولا انهدم مجد، ولا تقوض سلطان"[١].

كما يعترف علماء الغرب وفلاسفته بوجود جبرية علمية في الكون "ونسبوا الجبر فيها إلى سنة الكون ومجموع الحياة فيه، بدل أن ينسبوها إلى الله وعلمه وقدرته، وهذا المذهب الذي تقره كثرة فلاسفة الغرب أقل سعة، وتسامحا، وانطباقا على خير الجماعة الإسلامية من المذهب الفلسفي الذي يستخلص من القرآن الكريم... وهذه الجبرية العلمية تذهب إلى أن ما لنا من اختيار في الحياة، إنما هو اختيار نسبي ضئيل القدر، وأن القول بهذا الاختيار النسبي يرجع إلى ضرورات الحياة الاجتماعية من ناحية علمية، أكثر مما يرج إلى حقيقة علمية أو فلسفية، فلو لم يتقرر مذهب الاختيار لتعذر على الجماعة أن تجد أساسا تقيم عليه تشريعها وحدودها، وتنظم بذلك حياتها، وتفرض به على كل إنسان جزاء تصرفاته"[٢].

٣ - هل القضاء والقدر سبب أزمات المسلمين؟

يرى الأفغاني أن ما حل بالمسلمين لا علاقة له بعقيدة القدر، فيقول: "أما ما زعموه في المسلمين من الانحطاط والتأخر فليس منشأوه هذه العقيدة ولا غيرها من العقائد الإسلامية ونسبته إليها كنسبة النقيض إلى نقيضه بل أشبه ما يكون بنسبة الحرارة إلى الثلج والبرودة إلى النار نعم حدث للمسلمين نشوة من الظفر وثمل من العز والغلب وفاجأهم على تلك الحال صدمتان قويتان: صدمة من طرف الشرق، وهي غارة التتر من جنكيز خان وأحفاده، وصدمة من جهة الغرب، وهي زحف الأمم الأوروبية بأسرها على ديارهم...ولكني أقول وحق ما أقول أن هذه الملة لن تموت ما دامت هذه العقائد الشريفة آخذة مأخذها من قلوبهم ورسومها تلوح في أذهانهم وحقائقها متداولة

---

(١) ينظر: جمال الدين الأفغاني: القضاء والقدر وأصول العقائد الإسلامية وأمهات المسائل التوحيدية، ص ١٠.

(٢) محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص ٥١٠.

بين العلماء الراسخين منهم، وكل ما عرض عليهم من الأمراض النفسية والاعتلال العقلي فلا بد أن تدفعه قوة العقائد الحقة ويعود الأمر كما بدأ"[١].

لا ينكر أحد من العامة أو العلماء ما حل بواقع المسلمين من تأخر، ولكن الشيخ (محمد عبده) يرى أن لها أسبابا ليست العقيدة الصحيحة أحدها، بل إن العكس هو الصحيح فيقول: "ولكن لا أنكر أن الزمان تجهم للمسلمين، كما كان قد تنكر لغيرهم وابتلاهم بمن فسد من المتصوفة من عدة قرون؛ فبثوا فيهم أوهاما لا نسبة بينها وبين أصول دينهم؛ فلصقت بأذهانهم لا على أنها عقائد، ولكنها وساوس، قد تملك الجاهل وتربك العاقل؛ إذ لم يغلبها بعوامل الدين الصحيح؛ فنشأ الكسل بين المسلمين بفشو الجهل بأصول دينهم، وعاون على ذلك ميل الأعلياء منهم إلى تورطيهم فيما هم فيه؛ كما هو شأنهم في كل أمة"[٢].

وهذا ما أقره (الشيخ محمد عبده) مؤكدا أن هذا الفهم الخطأ تعدى حدود المسلمين إلى غيرهم، من خلال رؤيتهم لأقوال وأفعال هؤلاء المتصوفة، فقال: "ما أضل (هانوتو) وأمثاله من قصار النظر إلا أولئك الدراويش الخبثاء أو البله، الذين يغشون أطراف الجزائر وتونس ولا يخلو منهم قطر من أقطار الإسلام، فمن اتخذ دينه متجرا يكسب به الحطام، وجعل من ذكر الله آلة لسلب الأموال من الطغام"[٣].

فتعاليم الصوفية – إذن – التي بثوها في الناس على أنها عقائد – وهي مجرد أوهام ووساوس – هي سبب الفهم الخطأ لعقيدة القدر من قبل الناس؛ ويضاف إلى ذلك ميل الحكام إلى إبقاء الناس

---

(١) محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص ٥١٠.

(٢) الشيخ محمد عبده: الإسلام والرد على منتقديه، ص ٣٨.

(٣) الشيخ محمد عبده: الإسلام والرد على منتقديه، ص ٣٩.

على هذا الفهم السقيم؛ الذي يشي بالجهل الصريح لصحيح بالدين.

وقد بين الشيخ (محمد عبده) أن المضلين من الحكام وأعوانهم، نشروا بين الناس "أن ما يظهر من فساد الأعمال واختلال الأحوال، ليس من صنع الحكام، وإنما هو تحقيق لما ورد في الأخبار، من أحوال آخر الزمان، وأن لا حيلة في إصلاح حال ولا مآل، وأن الأسلم تفويض ذلك إلى الله، وما على المسلم إلا أن يقتصر على خاصة نفسه، ووجدوا في ظواهر الألفاظ لبعض الأحاديث ما يعينهم على ذلك... واتخذوا من عقيدة القدر مثبطا للعزائم، وغلا للأيدي عن العمل"[١].

وإلى هذا ذهب بعض الباحثين؛ حين صرح أن هذه العقيدة تم استغلالها سياسيا من قبل بعض الحكام؛ فقد تدخلوا منذ بداية التاريخ الإسلامي إلى تشويه مصطلحات إسلامية عدة، منها القضاء والقدر، والتوكل، والصبر، والزهد، والقناعة، فتناقش – مثلا – مشكلة الفقر والرزق كأنها قدر، وليست بفعل فاعل، وكذا تبرير الموت، وحوادث الطرق، والسرقة، والنهب، والفساد، والأنكى من ذلك استغلال الوعاظ لهذه الحوادث، وتغذيتها بسيل من المواعظ، تمجد الفقر والزهد، وتمدح الصبر؛ حتى يسكت الناس على هذا الحال، وينتظروا جنة عرضها السموات والأرض[٢]. .

فبدلا من تشجيع الناس على العمل، ورفع أسباب الفقر والظلم، والأخذ بالأسباب، يدعون إلى الرضا بكل ذلك، من باب الإيمان بعقيدة القدر، وهي براء من هذا الفهم الخاضع المريض.

يقول الشيخ محمد الغزالي: "كل دعوة تحبب الفقر إلى الناس أو ترضيهم بالدون من المعيشة أو تقنعهم بالهون من الحياة أو تصبرهم على قبول النجس والرضا بالدنية فهي دعوة فاجرة يراد بها

---

(١) الشيخ محمد عبده: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ص ١١١، مطبعة المنار بمصر، الطبعة: الثالثة ١٣٤١هـ.

(٢) السيد كمال الحيدري: القضاء والقدر وإشكالية تعطيل الفعل الإنساني، ص١٥٠– ١٥٧.

التمكين للظلم الاجتماعي وارهاق الجماهير الكادحة في خدمة فرد أو أفراد وهي – قبل ذلك كله– كذب على الإسلام وافتراء على الله"[١]

وأصبحت اليوم الدعوة إلى هذا الفهم المريض عملا مزدوجا، داخليا وخارجيا؛ تلتقي عليه الأنظمة والغرب؛ حتى تحمل الشعوب على الرضا عنهما[٢].

وأما حقيقة القدر فبخلاف ذلك، ولذا فإن الإمام (محمد عبده) يقرر أنه: "لو رجع المسلمون إلى الحقيقة من دينهم؛ لأدوا فرضهم، واستنبتوا أرضهم، واستغزروا من الثروة، وأعدوا لفرنسا ما استطاعوا من قوة، واعتمدوا في نجاح أعمالهم على معونة القدر، وأيقنوا في صولتهم علما أن ليس من الموت مفر، ثم صال صائلهم على مكان العزة منها، ونال ما ينال القوي من الضعيف، والعزيز من الذليل، ولانقلب جنونهم لدى (هانوتو) عقلا، وتحول هذيانهم حكمة وعلما"[٣].

ولذا أكد (الكواكبي) وهو يقرر الحقائق التي تساعد في نهضة المسلمين أن "القضاء والقدر هما السعي والعمل"[٤]، وليس الرضا والاستسلام، والتوكل بدون بذل، أو الاكتفاء بالدعاء دون عمل.

ومن ثم فالإيمان بالقضاء والقدر لا يعني الرضا بالتخلف والفقر والظلم، بل هو السعي نحو تحقيق العدل ورفع الظلم، وبذل الجهد نحو الأفضل دائما، السعي لزيادة المال والغنى، ولتطوير الذات، وتحقيق الخير والرفاهية والعدالة.

فعقيدة القدر تدعو للقوة في كل شيء "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ بِاللهِ، ولَا تَعْجَزْ، وإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا

---

(١) الشيخ محمد الغزالي: الإسلام المفترى عليه ص ٥٥.

(٢) السابق، ص ١٥٥.

(٣) الشيخ محمد عبده: الإسلام والرد على منتقديه، ص ٣٩.

(٤) عبد الرحمن الكواكبي: أم القرى، ص ١٦٣.

تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ كَذَا وكَذَا، ولَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ، ومَا شَاءَ الله فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"[١].

وتدعو الى العمل والسعي، لا إلى التسول وسؤال الناس؛ لأن "اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وابْدَأْ بمَن تَعُولُ، وخَيْرُ الصَّدَقَةِ عن ظَهْرِ غِنًى، ومَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ"[٢].

وتورث المؤمن غنى النفس، والاستغناء عما في أيدي الناس "ليسَ الغنى عن كثرةِ العَرَضِ ولَكنَّ الغِنى غنى النَّفسِ"[٣].

٤ - هل القضاء والقدر ينافي الأخذ بالأسباب؟

الإيمان بالقضاء والقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب؛ لأن الأسباب من جملة القدر الذي علمه الله وقدره منذ الأزل، وقد أمرنا الله بمباشرة الأسباب فقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾[٥]، وقال ﷻ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[٦]،

---

(١) مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ): صحيح مسلم باب الأمر بالقوة وترك العجز، رقم ٢٦٦٤، ج ٤، ص٢٠٢٥، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم ١٤٢٧، ج ٢، ص ١١٢، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.

(٣) محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، باب الغنى غنى النفس، رقم ٦٤٤٦، ج ٨، ص ٩٥.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٥) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٦) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

وكان ﷺ يتخذ الأهبة للحرب، ويحفر الخنادق، ويأمر بالتداوي، وينهى أن نكون عالة على الناس[١].

وعالم الدنيا مبني على الأسباب والعلل؛ فهو عالم الأسباب "فلا يوجد فيه موجود إلا عن سبب غالبا، ولا يبقى ويثبت إلا بسبب، ولا يزول ويمحى إلا بسبب، وهذا هو لوح المحو والإثبات، كما قال تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾[٢] تالذي لا محو فيه ولا إثبات، فيمحو ما يشاء ويزيله بسبب؛ كإزالة الأمراض بالأدوية النافعة، ويثبت ما يشاء بسبب، وهي الأسباب المثبتة للأشياء بعد إيجادها، وهي لا تحصر كثرة، وأما اللوح المحفوظ من المحو والإثبات، الذي هو مظهر العلم الذاتي؛ فهو العلم الغيبي، ليس فيه شيء مما ذكر في لوح المحو والإثبات"[٣].

فالله أمرنا بالسعي والتوكل عليه في جميع شؤوننا، وعدم الاستناد إلى أن الأقدار مكتوبة، وقد جال هذا الأمر برأس الصحابة فسألوا النبي ﷺ عنه، روي عن (علي بن أبي طالب) رضي الله عنه "كان النبي ﷺ في جنازة فأخذ شيئا فجعل ينكتُ به الأرض، فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة قالوا: يا رسول الله فَلَا نَتَّكِلُ علَى كِتَابِنَا ونَدَعُ العَمَلَ؟ قال: اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له"[٤].

---

(١) ينظر: أ. د/ محمود أبو دقيقة: القول السديد في علم التوحيد، ص٤٢، تحقيق وتعليق: أ. د/ عوض الله جاد حجازي.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٥٦.

(٣) الأمير عبد القادر الجزائري: المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، المجلد الثاني، ص٤٣٤، الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة ٢٠١١م.

(٤) محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، باب: فسنيسره للعسرى، رقم ٤٩٤٩، ج ٦، ص ١٧١.

فالتواكل والقعود ينافي العقيدة الصحيحة؛ لأن "التواكل ليس من التوكل على الله في شيء؛ فالتوكل على الله لا يكون بقعود المرء والتخلف عن أمر ربه، بل بالعمل الجدي لما أمر به، وذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[١]، فالعزم والإرادة يجب - إذن - أن يسبقا التوكل، وأنت ما عزمت ثم توكلت على الله بالغ نهاية أمرك بفضل منه، وأنت ما ابتغيت وجهه وحده، وما خشيته وحده، وما سلكت سبيله وحده مهتد إلى الخير، بحكم سنة الله في الكون، وسنة الله لا تحويل لها ولا تبديل، وأنت بالغ هذا الخير أدى بك سعيك إلى النجاح والفوز أو أدى بك إلى الموت"[٢].

فما يزعمه المستشرقون من أن هذه العقيدة تدعو المسلم إلى اعتقاد أن ما يصيبه مما كتبه الله؛ فيقعد لذلك محتملا الضر والمذلة، يعد زعما خطأ بعيدا عن الحقيقة؛ لأن عقيدة القدر تدعو إلى دوام السعي ابتغاء مرضاة الله، وإلى عزم الأمر قبل التوكل عليه، فإذا لم يوفق اليوم في مسعاه فسيحاول غدا، فهذه العقيدة تعطيه الرجاء، والحافز إلى التفكير المتصل، والسعي الدائب لبلوغ الغاية، فالإسلام دين سعي، وكفاح، وجهاد في نواحي الحياة الروحية، والعلمية، والدينية، والدنيوية، وقضت سنة الله أن كل إنسان مجزى بعمله، وأنهسبحانهلا يظلم أحدا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون[٣].

ومن تفسيرات الصوفية ما يثبت مسؤولية الإنسان عن عمله، يقول الأمير عبد القادر عن قوله تعالى: ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[٤] "أي طبيعته واستعداده، ثم هدى أي بين ويسر، وساق كل شيء بعد إيجاده، فليس لهتعالى - إلا إعطاء الوجود للأحوال والصفات لكل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص٥١٢.

(٣) ينظر: محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص٥١٣ - ٥٢٦.

(٤) سورة طه، الآية: ٥٠.

مستعد، حسب استعداده، وطلبه لذلك بلسان حاله"[١].

وبالاستعدادات كانت الحجة البالغة للهتعالى - على من أشقاه، وابتلاه، وأفقره ونحو هذا، فإن استعداده طالب لذلك ولو أعطاه غيره على سبيل الفرض رده وما قَبِله لاستعداده لضده؛ فإن الاستعدادات طالبة لإيجادها، والحكيم هو الذي يضع كل شيء موضعه اللائق به بحيث لا يكون أحكم، ولا أبدع، ولا أكمل منه[٢].

٥ - هل الإيمان بالقضاء والقدر يستلزم الرضا بالمعاصي؟

الإيمان بالقضاء والقدر لا يستلزم الرضا بالمعاصي ألبتة، وغاية الأمر أن بعض الناس - وخاصة أهل المعاصي - احتجوا بالقدر على المعاصي والخطايا مستندين إلى حديث النبي ﷺ "احتجَّ آدمُ وموسى، فقال له موسى: يا آدمُ أنت أبونا خَيَّبتنا وأخرجتَنا من الجنة، قال له آدمُ: يا موسى اصطفاك اللهُ بكلامِه، وخطَّ لك بيدِه، أتلومُني على أمرٍ قَدَّره اللهُ عليَّ قبل أنْ يخلُقَني بأربعين سنةً؟ فحَجَّ آدمُ موسى، فحَجَّ آدمُ موسى ثلاثا"[٣]، وكثير من العلماء وجهوا الحديث وجهته الصحيحة، فذكر (ابن القيم) جوابين - أو وجهين - في معنى الحديث، الأول نسبه لابن تيمية، والآخر لذاته، أما الأول: فإن موسى أعرف بالله تعالى من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعله، وآدم

---

(١) الأمير عبد القادر الجزائري: المواقف، المجلد الثاني، ص ١٣٦٦.

(٢) ينظر: الأمير عبد القادر الجزائري: المواقف، المجلد الثاني، ص ١٣٦٢.

(٣) الحديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ): صحيح البخاري، باب تحاج آدم وموسى عند الله، رقم ٦٦١٤، ج ٨، ص ١٢٦، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ. مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ): صحيح مسلم، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم ٢٦٥٢، ج ٤٠٢٤، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

أعرف بربه من أن يحتج بالقضاء والقدر على معصيته "لام موسى آدم على المعصية التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة، ونزولهم إلى دار الابتلاء والمحنة؛ بسبب خطيئة أبيهم آدم؛ فذكر الخطيئة تنبيها على سبب المصيبة المحنة التي نالت الذرية... فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، وقال إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة بقدره قبل خلقي، والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب"(١).

أما الوجه الثاني: إن الاحتجاج بالقدر ينفع في موضع، ويضر في موضع "فينفع إذا احتج به بعد وقوعه، والتوبة منه، وترك معاودته كما فعل آدم، فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد، ومعرفة أسماء الرب وصفاته، وذكرها ما ينتفع به الذاكر والسامع؛ لأنه لا يدفع بالقدر أمرا ولا نهيا، ولا يبطل به شريعة... وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل؛ بأن يرتكب فعلا محرما، أو يترك واجبا؛ فيلومه عليه لائم؛ فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره؛ فيبطل بالاحتجاج به حقا، ويرتكب باطلا"(٢).

فاللوم اذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر، واذا كان واقعا فالاحتجاج به باطل(٣).

ولذا فإن العلماء فرقوا بين الرضا بالقضاء والرضا بالمقضي؛ فالرضا بالقضاء واجب؛ كونه من جهة الله – تعالى – فلا نسخط ولا نعترض لحكمه، أما الرضا بالمقضي فلا، فلم يأمرنا الله بما فوق طاقتنا من عدم التألم عند المرض، أو طلب الدواء، أو استطابة البلايا والمصائب وعدم دفعها "فنحن مأمورون بالرضى بالقضاء، ولا نتعرض لجهة ربنا إلا بالإجلال والتعظيم، ولا نعترض عليه

---

(١) ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص ١٨، دار المعرفة- بيروت – لبنان ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

(٢) ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص ١٨.

(٣) ينظر: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص ١٨.

في ملكه، وأما أنَّا أمرنا بأن تطيب لنا البلايا والرزايا، ومؤلمات الحوادث فليس كذلك، ولم ترد الشريعة بتكليف أحد بما ليس في طبعه، ولم يؤمر الأرمد باستطابة الرمد المؤلم ولا غيره من المرض، بل ذم الله قوما لا يتألمون، ولا يجدون للبأساء وقعًا فقال - تعالى - في شأن هؤلاء: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾[١] فمن لم يسكن ولم يذل للمؤلمات، ويظهر الجزع منها، ويسأل ربه إقالة العثرة منها؛ فهو جبار عنيد بعيد، عن طريق الخير"[٢].

فالمقضي والمقدور أثر القضاء والقدر، فالواجب هو الرضى بالقضاء فقط، أما المقضي فقد يكون الرضا به واجبا؛ كالإيمان بالله، وقد يكون مندوبا في المندوبات، أو حراما في المحرمات[٣].

إذن "الرضا بالقضاء لا يستلزم الرضا بالمعاصي؛ لأن الكفر مثلا له جهتان: جهة إقدار الله - تعالى - للعبد عليه، وجهة حصوله وصدوره من العبد لقدرته، والرضا المطلوب شرعا ترك الاعتراض من الجهة الأولى، أما من الجهة الثانية فالمطلوب كراهته، وعدم الرضا عن مرتكبه"[٤].

غاية الأمر أنه يجب الرضا بالقضاء كونه من جهة الله - ﷻ - لكن المعاصي، والأمراض،

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٧٦.

(٢) الإمام أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي (ت ٦٨٤هـ): الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، ج ٤، ص ٣٨٨. وبحاشيته الكتابين: إدرار الشروق على أنواء الفروق: للإمام أبي القاسم قاسم بن عبد الله بن الشاط (ت ٧٢٣هـ)، وتهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية: للشيخ محمد علي بن حسين المكي المالكي، ضبطه وصححه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٣) ينظر: الإمام القرافي: الفروق، ج٤، ص ٣٨٩، ٣٩٠.

(٤) أ.د/ محمود أبو دقيقة: القول السديد في علم التوحيد، ص ٤٣، تحقيق: أ.د/ عوض الله جاد حجازي.

والفتن، ومحن المسلمين، لا يجب الرضا بها، أو الاستسلام لواقعها، بل يتحتم دفعها، والسعي بكل الوسائل لتغيير هذا الواقع، وهذا من قدر الله أيضا، ولنتذكر حديث عمر وأبي عبيدة، عندما خرج عمر إلى الشام، وفي الطريق علم أن الطاعون نزل بها؛ فاستشار المهاجرين والأنصار في الدخول أو عدمه، واستقر أمره على الرجوع، وعدم التقدم إلى هذا الوباء " قالَ أبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ: أفِرَارًا مِن قَدَرِ اللهِ؟! فَقَالَ عُمَرُ: لو غَيْرُكَ قَالَهَا يا أبَا عُبَيْدَةَ؟! نَعَمْ نَفِرُّ مِن قَدَرِ اللهِ إلى قَدَرِ اللهِ، أرَأَيْتَ لو كانَ لكَ إبِلٌ هَبَطَتْ وادِيًا له عُدْوَتَانِ، إحْدَاهُما خَصِبَةٌ، والأُخْرَى جَدْبَةٌ، أليسَ إنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بقَدَرِ اللهِ، وإنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بقَدَرِ اللهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ -وكانَ مُتَغَيِّبًا في بَعْضِ حَاجَتِهِ- فَقَالَ: إنَّ عِندِي في هذا عِلْمًا؛ سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: إذَا سَمِعْتُمْ به بأَرْضٍ فلا تَقْدَمُوا عليه، وإذَا وقَعَ بأَرْضٍ وأَنْتُمْ بهَا فلا تَخْرُجُوا فِرَارًا منه"[(١)].

وعلى هذا فالمرض من قدر الله، وأخذ الحيطة، وحفظ النفس، وتعاطي الأسباب من قدر الله كذلك.

٧- هل القضاء والقدر لا يناسب التطور البشري؟

القضاء والقضاء عقيدة من عقائد الإسلام، مثل الإيمان بالله، وبالكتب، والرسل، واليوم الآخر، والعقائد ثابتة لا تتغير ولا تتطور؛ فليست محل اجتهاد كفروع الشريعة؛ حتى تتجدد بتجدد الأزمان وتغير الأحوال؛ فالعقائد واجبة التصديق والإذعان القلبي.

فثبات العقائد بين جميع الأنبياء محل إجماع بين المسلمين: "فأصول العقائد واحدة بين جميع الأنبياء والمرسلين، ولكن الاختلاف في التشريعات؛ فكل أمة لها من التشريعات ما يتناسب مع ظروفها، وأحوالها، ومستواها الفكري والروحي"[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري، باب ما يذكر في الطاعون، رقم ٥٧٢٩، ج ٧، ص ١٣٠.

(٢) د فرج الله عبد الباري: العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية، دار الآفاق العربية.

ومن هنا فعقيدة القدر – بلا شك – لا تخضع للتطور؛ بل إننا في هذا الزمان المليء بالأزمات المادية والنفسية بحاجة إلى غرس هذه العقيدة في النفوس؛ لتطمئن، ويهجرها القلق، والاضطراب، والتحسر على الماضي، والتذمر من الحاضر، والخوف من المستقبل، فمجرد الإيمان بعدل الله، – وبأن الخير والشر مقدر من عنده تعالى، وأن على الإنسان بذل الأسباب؛ متوكلا عليه، مؤمنا بما قضاه وقدره– يبعث في نفسه أن أمره كله خير فلا ييأس ولا يقنط ولا يكتئب ولا يحمل هموما من الجبال لسد جوعه أو دينه أو تأمين رزقه أو تطوير نفسه، بل يؤمن بقضاء الله الذي كله له خير فيرضى ويطمئن.

والادعاء بأن المدنية الحديثة لا يناسبها عقيدة القدر دعوى يكذبها الواقع، ويكذبها أهلها الذين رأوا أن حل مشاكلهم تكمن في الإيمان بالقضاء والقدر.

فتحت عنوان (عشت في جنة الله) حكى (ديل كارنيغي)[١] عن أحد كتاب أوروبا وهو (ر ن س بودلي)[٢] أنه ذهب إلى الصحراء، وعاش بين البدو العرب المسلمين سبعة أعوام، درس فيها

---

(١) **ديل كارنيجي**: Dale Carnegie ولد في نيويورك، مؤلف أمريكي ومطور مشهور في تحسين الذات ومدير معهد كارنيجي للعلاقات الإنسانية ولد عام١٨٨٨ وتوفي عام ١٩٥٥، بعد أن أصيب بسرطان الدم . من أهم مؤلفاته كتاب: دع القلق وابدأ الحياة وقد تُرجم إلى عدة لُغات وانتشر بشكل واسع في العالم العربي والإسلامي.وكتابه كيف تؤثر في الآخرين وتكسب الأصدقاء. ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة بتاريخ ٢٠٢٣/٣/٣٠م

(٢) كولونيل رونالد فيكتور كورتيناي بودلي ولد في مارس ١٨٩٢موتوفي ٢٦ مايو ١٩٧٠م كان ضابطا في صفوف الجيش البريطاني، وهو كاتب وصحفي ومستشرق، من كتبه الرسول، حياة محمد في ٣٦٨ صفحة، وقد آمن في مقدمته بسلامة العقيدة الإسلامية وضل من بعد في تفسير الزكاة والجنة والنار والقضاء والقدر. ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون ج ٢ ص ٥٢٩ دار المعارف ١٩٦٤م.وينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة https: //ar.wikipedia.org/wiki./

الإسلام أنه تأثر كثيرا بعقيدة القدر، وكان مما قال (بودلي): "وقد كانت تلك الأعوام السبعة التي قضيتها مع هؤلاء البدو الرحل من أمتع سني حياتي، وأحفلها بالسلام والاطمئنان والرضا بالحياة، وقد تعلمت من عرب الصحراء كيف أتغلب على القلق؛ فهم - بوصفهم مسلمين - يؤمنون بالقضاء والقدر، وقد ساعدهم هذا الإيمان على العيش في أمان، وأخذ الحياة مأخذا سهلا هينا؛ فهم لا يتعجلون أمرا، ولا يلقون بأنفسهم بين براثن الهم قلقا على أحزانهم، يؤمنون بأن (ما قدر يكون) وأن الفرد منهم (لن يصيبه إلا ما كتب الله له) وليس معنى هذا أنهم يتواكلون، أو يقفون في وجه الكارثة مكتوفي الأيدي كلا"[(١)] وذكر (بودلي) كثيرا من القصص التي تؤكد سعيهم وعملهم في مواجهة الصعاب، وبذل الأسباب[(٢)].

ثم قال معقبًا: " قد أقنعتني هذه الأعوام السبعة، التي قضيتها في الصحراء بين الأعراب الرحل أن الملتاثين، ومرضى النفوس، والسكيرين الذين تحفل بهم أمريكا وأوروبا ما هم إلا ضحايا المدنية التي تتخذ السرعة أساسا لها، إنني لم أعان شيئا من القلق قط وأنا أعيش في الصحراء، بل هناك جنة الله، وجدت السكينة، والقناعة، والرضا"[(٣)].

---

(١) ديل كارنيغي: دع القلق وابدأ الحياة ص ٣٠٣، تعريب: عبد المنعم محمد الزيادي، مكتبة الخانجى- القاهرة ١٩٩٤م.

(٢) ينظر: السابق ص ٢٠٤.

(٣) السابق ص ٣٠٤- ٣٠٥.

المبحث الرابع: أثر الإيمان بالقضاء والقدر وقت الأزمات:

الاعتقاد الصحيح بالقدر له ثمار نفيسة – مادية ومعنوية – تعين المسلم في حل مشكلاته، وفي سائر شؤون حياته منها:

١ – الشجاعة والإقدام:

الإيمان بالقدر يجعل المسلم يواجه الصعاب، والأخطار بجنان ثابت؛ لأن "الاعتقاد بالقضاء والقدر إذا تجرد عن شناعة الجبر، يتبعه صفة الجراءة والاقدام، وخلق الشجاعة والبسالة، ويبعث على اقتحام المهالك، التي توجف لها قلوب الأسود، وتنشق منها فرائس النمور، هذا الاعتقاد يطبع الأنفس على الثبات واحتمال المكاره، ومقارعة الأهوال، ويحليها بحلي الجود والإخاء، ويدعوها إلى الخروج من كل ما يعز عليها، بل يحملها على بذل الأرواح، والتخلي عن نضرة الحياة، كل هذا في سبيل الحق"[(١)].

بهذا الاعتقاد فتح المسلمون الأول الممالك والأقطار، وحيروا العقول والألباب "فالإنسان حريص على حياته، شحيح بوجوده، على مقتضى الفطرة والجبلة، فما الذي يهون عليه اقتحام المخاطر، وخوض المهالك، ومصارعة المنايا، إلا الاعتقاد بالقضاء والقدر، وركون قلبه إلى أن المقدر كائن، ولا أثر لهول المظاهر"[(٢)].

بل كان الإيمان بالقدر حافزا للمسلمين الأوائل على السياحة في الأرض نشرًا للدعوة أو طلبًا للرزق خائضين للمخاطر ومقدمين على عظائم الأمور نابذين الكسل والجبن؛ ومن ثم بنوا حضارة من أعظم الحضارات وانتشر دينهم في اسقع العالم في فترة زمنية لا تعد في عمر الدعوات والحضارات .

---

(١) ينظر: جمال الدين الأفغاني: القضاء والقدر وأصول العقائد الإسلامية وأمهات المسائل التوحيدية، ص ١٠.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ١٢.

٢ - الصبر:

ومن ثمار الإيمان بالقضاء والقدر، تدريب النفس على الصبر، وهو على ثلاث درجات "الدرجة الأولى: الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد إبقاء على الإيمان، وحذرا من الجزاء، وأحسن منها الصبر عن المعصية حياء، والدرجة الثانية: الصبر على الطاعة؛ بالمحافظة عليها دواما، وبرعايتها إخلاصا، وبتحسينها علما، والدرجة الثالثة: الصبر في البلاء بملاحظة حسن الجزاء، وانتظار روح الفرج، وتهوين البلية بعد أيادي المنن، وتذكر سوالف النعم"(١).

وحقيقة الصبر الواجب هو "حبس النفس والحواس عن الجزع والضجر، الموحيين سوء الأدب على الله - تعالى - عند التألم بصدمة المصيبات، أو التقصير عما يجب؛ فرارا من ثقل المشاق والكريهات، وميلا إلى جانب الراحات والشهوات"(٢).

وقيل: "الصبر حده أن لا تعترض على التقدير، فأما إظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر، قال ﷻ في قصة أيوب عليه السلام: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ﴾(٣) مع ما أخبرنا عنه أنه قال: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾(٤) فالتوجه إلى الله بالدعاء لا ينافي الصبر، وكذا السعي والعمل لا ينافيه.

إذن، الإيمان بالقدر من أعظم الأدوية في مواجهة الصعاب والمصائب؛ حيث يتسلح لها

---

(١) الإمام عبد الله الأنصاري الهروي: منازل السائرين ص ٤٩- ٥٠، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨ - ١٩٨٨.

(٢) الإمام السنوسي (ت ٨٩٥ هـ): المنهج السديد في شرح كفاية المريد شرح للمنظومة المسماة الجزائرية: لأحمد بن عبد الله الزواوي (ت ٨٨٤هـ) ص ٥٤٢، تحقيق: الأستاذ مصطفى مرزوقي، دار الهدى- الجزائر.

(٣) سورة ص الآية: ٤٤.

(٤) الآية في سورة الأنبياء، الآية: ٨٣، الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري (ت ٤٦٥هـ): الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص ٢٥٩، تحقيق: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية.

المؤمن بسلاح الصبر .

٣ - الرضا:

ومن ثماره الرضا؛ فطمأنينة القلب نعمة لا تدانيها أي نعمة، فهو جنة المؤمنين على الأرض، ولذلك كان النبي ﷺ يقول في دعائه: "أسألُكَ الرِّضا بعدَ القضاءِ"[(١)].

فالرضا سكون القلب بمر القضاء، وترك التسخط على أحكام الله - تعالى -[(٢)].

فالإيمان بالقدر يورث العبد الرضا بقضاء الله؛ فلا يجزع، ولا يسخط، بل يسكن ويطمئن، وهي نعمة عظيمة للمؤمن وسط الفتن والمحن التي يعايشها.

والأخذ بالأسباب، والتضرع بالدعاء لا يناقضان الرضا بقدر الله، يقول الإمام الغزالي: "الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي، وسائر الأسباب المعينة على الدين، غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى، فإن الله تعبد العباد بالدعاء؛ ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر، وخشوع القلب، ورقة التضرع، ويكون ذلك جلاء للقلب، ومفتاحا للكشف، وسببا لتواتر مزايا اللطف، كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش، وشرب الماء طلبا لإزالة

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، وقال العراقي: صحيح الإسناد، ينظر سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني: المعجم الكبير، رقم ٨٢٥، ج ١٨، ص ٣١٩، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ط: الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م. وينظر: أبو الفضل العراقي (ت ٨٠٦هـ): المغني عن حمل الأسفار، باب في أدعية مأثورة عن النبي، رقم١٠٦٢، ج ١، ص ٢٧٨، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية - الرياض ١٩٩٥م.

(٢) ينظر: الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري (ت ٤٦٥هـ): الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص٢٨٩، تحقيق: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية.

العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الأسباب، فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وأمر به"[١].

فالتمسك بالأسباب – جريا على سنة الله تعالى – لا يناقض التوكل، ولا يناقض الرضا؛ لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل، متصل بهكما يرى الإمام الغزالي –[٢].

وكذا التألم، وإظهار البلاء لا يناقض الرضا، يقول الغزالي: "إظهار البلاء في معرض الشكوى، وإنكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا، وإظهار البلاء على سبيل الشكر، والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض"[٣].

وكذا الخروج من البلاد التي هي مظان المعاصي لا يناقض الرضا بالقضاء، بل هو من الأخذ بالأسباب التي تجلب صلاح الدين، وحفظ النفس، يقول الغزالي: " من بلي ببلدة تكثر فيها المعاصى، ويقل فيها الخير؛ فلا عذر له في المقام بها، بل ينبغي أن يهاجر، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴾ فإن منعه عن ذلك عيال أو علاقة؛ فلا ينبغي أن يكون راضيا بحاله، مطمئن النفس إليه، بل ينبغي أن يكون منزعج القلب منها قائلًا على الدوام ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ وذلك لأن الظلم إذا عم نزل البلاء، ودمر الجميع، وشمل المطيعين، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ فإذن، ليس في شيء من أسباب

---

(١) محمد بن محمد الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٥٤، الناشر: دار االمعرفة – بيروت.

(٢) ينظر: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٥٤.

(٣) الإمام محمد بن محمد الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٥٤.

نقص الدين ألبتة رضا مطلق، إلا من حيث إضافتها إلى فعل الله تعالى، فأما هي في نفسها فلا وجه للرضا بها بحال"[١].

٤ - القضاء على القلق وتحقيق السلام النفسي:

فالإيمان بالقدر يجعل المؤمن يمضي في حياته على منهج سواء ثابت، لا تبطره النعمة، ولا تبئسه المصيبة[٢].

مؤمن بقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾[٣]، فيتحقق في قلبه وعقله التوازن في وقت الفرح والسرور؛ فيشكر، ويرجع الفضل إلى ربه، وفي وقت المصيبة والألم لا يخرجه حزنه عن الرضا؛ فيسخط، ويعترض على قضاء الله.

يقول الإمام الغزالي: "الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والإرادة، ولكن الشر مراد مكروه، والخير مراد مرضى به، فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل، وكذا من قال إنهما جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو أيضًا مقصر"[٤].

والنتيجة الطبيعية لهذا الإيمان هي القضاء على القلق، وهو المرض العضال الذي أصاب الوجوديين وسائر الملحدين، والذي كثيرا ما يلجئهم إلى الانتحار والاكتئاب؛ لفقدهم راحة النفس، وسكون القلب الذي يتمتع بهما المؤمن .

---

(١) الآية الأولى: النساء: آية ٩٧، والثانية: سورة النساء: الآية ٧٥، والثالثة: الأنفال الآية: ٢٥، الإمام محمد بن محمد الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٥٥.

(٢) ينظر: عمر بن سليمان الأشقر: القضاء والقدر، ص١١٠، دار النفائس - الأردن، ط: الثالثة عشر ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٤) الإمام محمد بن محمد الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٥٣.

أما المؤمن بالقدر فلا يتعجل الأمور، ولا يستبطئ الأرزاق، بل إن منهجه ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[1].

وأختم كلامي – هنا – بالنقل عن (بودلي) – الذي أوردت رأيه سلفا من كتاب دع القلق – فيقول: "وخلاصة القول أنني بعد انقضاء سبعة عشر عاما على مغادرتي الصحراء، ما زلت اتخذ موقف العرب حيال قضاء الله؛ فأقابل الحوادث التي لا حيلة فيها بالهدوء، والامتثال، والسكينة، ولقد أفلحت هذه الطباع التي اكتسبتها من العرب في تهدئة أعصابي أكثر مما تفلح آلاف المسكنات والعقاقير"[2].

٥- القضاء على الأمراض القلبية والاجتماعية:

إن الإيمان بالقدر يقضي على كثير من أمراض القلوب، التي عمت المجتمعات الإسلامية: كالحسد، والحقد، والتباغض، فلو آمن المسلم بالقدر ما حسد آخر على رزقه، وماله، وعمله، ونصيبه من الدنيا؛ فينظر لحاله ويحمد؛ لعله ابتلاء، ويسعى؛ لعل لديه نقصا في السعي، والأخذ بالأسباب، ثم يرضى بما قدر الله، ما دام مولاه سبحانه هو مقسم الأرزاق.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾[3].

وقد روي عن رسول الله– ﷺ – أنه تعالى يقول: "إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر، ولو

---

(١) سورة الحديد الآية: ٢٢-٢٣.

(٢) ديل كارنيغي: دع القلق وابدأ الحياة ص ٣٠٥.

(٣) سورة النساء الآية: ٣٢.

أغنيته لأفسده ذلك، ومنهم من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك"[١].

فالله ﷻ مقسم الأرزاق، وله حكمة في المنع والعطاء، وقد روي عن رسول الله - ﷺ - أنه تعالى يقول: "إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، ومنهم من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك"[٢].

فإن القدر الإلهي يتسم بالعدل، وإن ما يعتقده بعض الناس أنه ظلم أو شر، فإنما هو ينظر إلى القشر الخارجي فقط؛ فقد يكون المنع خيرا والعطاء شرا، "فإن ما يبدو من ظلم في بعض الحوادث؛ فإنما هو نتيجة لنظر الناس إلى الأحداث في أسبابها الظاهرية، في حين أن لكل حادثة سببين اثنين: الأول: سبب ظاهري يحكم الناس على وفقه، وكثيرا ما يظلمون، والثاني: سبب حقيقي، يقضي القدر على وفقه فيعدل - تحت ظلم البشر- في الحادثة نفسها"[٣].

٦- الحذر والمجاهدة:

المؤمن بالقدر دائما على حذر؛ فقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، والفتن كثيرة؛ فيخشى أن يختم له بسوء، وهذا لا يدفعه إلى التكاسل والخمول، بل يدفعه إلى

---

(١) والحديث أخرجه شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ): المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة رقم ٦٩٢ ص ٤٥٦/١ المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

(٢) أخرجه شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ): المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة رقم ٦٩٢ ص ٤٥٦/١ المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .

(٣) النورسي: الشعاع الثالث عشر /الشعاعات، كليات رسائل النور، ص ٣٣١. ترجمة: إحسان قاسم الصالحي سوزلر للنشر – القاهرة ط الثانية ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م

المجاهدة الدائمة بالأعمال الصالحة، ومجانبة المعاصي والموبقات، ويجعل قلب العبد معلقا بخالقه؛ يدعوه ويرجوه ويستعينه، ويسأله الثبات، والرشد، والسداد في كل قول أو فعل(١).

٧ - العز في طلب الحوائج:

فالمؤمن بالقدر عزيز النفس، لا يذلها أمام قوي، أو طاغية، أو ذي سلطان، ولا يهينها في سبيل طلب رزق، أو جاه، أو عرض من متاع الدنيا؛ لأنه يدرك أن الأمور تجري بمقادير المدبر الحكيم العزيز، الذي يقول للشيء كن فيكون، ولا أبلغ من وصية رسولنا ﷺ لابن عباس حين قال له: "يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لَكَ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ"(٢).

وما دام كل شيء بقدر؛ فالإيمان بذلك يدفع صاحبه إلى طلب الأشياء بعزة نفس؛ فلا أحد يملك رزقه، ولا أجله، ولا سعادته، ولا شقائه، فكلٌ من عند الله - تعالى - وليس لأحد فيه يد، مهما كان كبيرًا أو عظيمًا.

---

(١) ينظر: الأشقر: القضاء والقدر، ص١١١.

(٢) أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي: الجامع الصحيح سنن الترمذي رقم ٢٥١٦، ج ٤ ص ٦٦٧، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الإيمانية في أصل من أصول العقائد الإسلامية – بل أحد أركان الإيمان – نرى مدى الفهم الخطأ لعقيدة القضاء والقدر، وما رميت به من تهم وشبهات، وما حُمِّلت من معانٍ باطلة؛ تبعث على الرضا بالدون، والاهتمام بسفاسف الأمور، والحقيقة الناصعة – بعد استقراء المعنى الصحيح للإيمان بالقضاء والقدر – أن نقرر ما يلي:

١- ما رميت به هذه العقيدة أقاويل باطلة؛ فلا علاقة لها بأزمات المسلم النفسية والمادية، بل هذا الزعم ما كان يروجه أعداء الإسلام؛ حتى يعيش المسلمون الهزيمة النفسية والحضارية، بل إن سبب أزمات المسلمين هو الفهم الخاطئ لهذه لعقيدة.

٢- هذه العقيدة تدعو الفقير إلى الجد والسعي، والأخذ بالأسباب؛ حتى يحسن وضعه، ولا تدعوه إلى الرضا بالفقر "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف".

٣- تدعو هذه العقيدة المؤمن إلى التوكل وليس التواكل، تدعوه الى العمل إذا كان رقيق الحال، لا إلى التسول وسؤال الناس "فاليد العليا خير من اليد السفلى".

٤- يورث الإيمان بالقدر غنى النفس، والاستغناء عما في أيدي الناس "ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس، ومن يستغنِ يغنيه الله".

٥- هذه العقيدة تدعو أصحابه إلى الإقدام والشجاعة والجسارة، وعدم اليأس والخوف والتراجع، فكلٌّ مقدر؛ الموت مقدر، والرزق مقدر، فلماذا الخوف إذن؟ .

٦- تدعو هذه العقيدة المظلوم إلى الانتصاف من الظالم، وأخذ حقه بجميع الوسائل المشروعة؛ فلا يستكين للظلم والظالمين.

٧- كما تدعوه إلى مناصرة المظلومين وأصحاب القضايا العادلة؛ فالمسلم أخو المسلم، لا يخذله، ولا يسلمه؛ فلا يجبن، ولا يخور، ولا يركن إلى القعود، ويتخلف عن الجهاد.

٨- كما تدعوه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألا يخاف في الله لومة لائم، فإذا

قعدنا عن هذه الفريضة؛ فمن يصلح المعوج، ومن يقوم المنكر، ومن يدعو إلى الله، ويذكر المؤمنين والغافلين.

وعلى هذا فإن كان من توصيات فهي:

أولًا: دعوة لأولي الألباب من القائمين على التربية التعليم؛ بتعليم النشء حقيقة هذه العقيدة في كل المراحل، وفي كل المحاضن التربوية، إضافة إلى دور الدعاة والواعظين؛ فتكون رسالتهم للجماهير داعية إلى السعي، والعمل، والإيجابية، والتفاعل مع مشاكلهم وقضاياهم؛ ولا تكون أبدًا حاضة على الرضا والخنوع.

ثانيًا: تجديد علم الكلام بما يتناسب مع حاجة المسلمين، وهنا في عقيدة القدر يحتاج المسلمون إلى دفع الشبهات عنها، وإبراز حقيقتها الصافية، وثمراتها العديدة.

هذا وما كان من توفيق فمن الله، ومن كان من ذلل فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه براء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

*** أبو الحسن الأشعري:**

١- الإبانة في أصول الديانة، تقديم وتحقيق وتعليق: دكتورة/ فوقية حسين محمود، دار الأنصار، ط: الأولى ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٢- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، صححه وعلق عليه: د/ حمودة غرابة، مطبعة مصر ١٩٥٥م.

*** أبو عذبة (الحسن بن عبد المحسن):**

٣- الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية، ط: الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند ١٣٢٢هـ.

*** أبو منصور الماتريدي:**

٤- محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي (متوفى ٣٣٣هـ): كتاب التوحيد، تحقيق: الأستاذ الدكتور/ بكر طوبال أوغلي، والأستاذ المساعد الدكتور/ محمد آروشي، دار صادر - بيروت، مكتبة الإرشاد - إستانبول.

*** الأفغاني جمال الدين:**

٥- القضاء والقدر وأصول العقائد الإسلامية وأمهات المسائل التوحيدية: المكتبة المحمودية التجارية بمصر لصاحبها محمود علي صبيح.

*** ابن خلكان:**

٦- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الأولى ١٩٩٤م.

*** ابن رشد:**

٧- مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق: دكتور. محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط: الثانية ١٩٦٤م.

* **ابن سينا:**

٨- الشفاء (الإلهيات)، راجعه: د/ ابراهيم مدكور، تحقيق: الأب قنواتي، والأستاذ /سعيد زايد، منشورات ذوي القربى، ط: الأولى.

٩- النجاة، تحقيق: د/ عبدالرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، ط: الأولى ١٩٩٢م.

* **ابن فارس:**

١٠- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ): مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م.

* **ابن منظور** (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين):

١١- لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ.

* **الباجوري (برهان الدين إبراهيم):**

١٢- حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد، المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد، تحقيق: د/ علي جمعة محمد الشافعي، دار السلام، ط: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

* **البخاري محمد بن إسماعيل:**

١٣- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.

* **الجرجاني:**

١٤- شرح المواقف للقاضي عضد الدين الإيجي، ومعه حاشية السيالكوتي والحلبي، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م.

* **إسماعيل بن محمد بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى ١٣٩٩هـ):**

١٥- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة باستانبول ١٩٥١م- دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

* **حسن حنفي:**

١٦- من العقيدة إلى الثورة الإنسان المتعين، دار التنوير بيروت - لبنان، المركز الثقافي العربي بيروت - لبنان، الدار البيضاء - المغرب، ط: الأولى ١٩٨٨م.

* **الخليل بن أحمد:**

١٧- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ): العين، المحقق: د/ مهدي المخزومي - د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

* **الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ):**

١٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

* **الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي:**

١٩- الأعلام، دار العلم للملايين ط ١٥ مايو ٢٠٠٢م.

* **سعد الدين التفتازاني** (مسعود بن عمر):

٢٠- شرح العقائد النسفية، تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٨م.

* **السيد كمال الحيدري:**

٢١- القضاء والقدر وإشكالية تعطيل الفعل الإنساني.

* **الشهرستاني**: (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم):

٢٢- الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا - علي حسن فاعود، دار المعرفة – بيروت - لبنان، ط: التاسعة ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

* **الطبراني** (سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني):

٢٣- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ط: الثانية، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٢م.

* **عادل نويهض:**

٢٤- معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، تقديم مفتي لبنان الشيخ: حسن خالد مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر - بيروت- لبنان ط الثالثة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

* **عبد الجبار بن أحمد (القاضي):**

٢٥- الأصول الخمسة المنسوبة للقاضي عبد الجبار، تحقيق: دكتور. فيصل بدير عون، جامعة الكويت - لجنة التأليف والتعريب والنشر، ط: الأولى ١٩٩٨م.

٢٦- المختصر في أصول الدين رسائل العدل والتوحيد، تحقيق: د. محمد عمارة، دار الشروق.

* **عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ):**

٢٧- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، الناشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي.

* **عبد الرحمن بدوي:**

٢٨- موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط الأولى ١٩٨٤م.

* **عبد الرحمن الكواكبي:**

٢٩- أم القرى، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠هـ- ١٩٣١م.

* **عبد المنعم الحفني:**

٣٠- موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مدبولي، ط: الثالثة ٢٠١٠م.

* **العراقي** (أبو الفضل العراقي (ت ٨٠٦هـ):

٣١- المغني عن حمل الأسفار، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية - الرياض ١٩٩٥م.

* **عمر بن رضا كحالة (١٤٠٨هـ):**

٣٢- معجم المؤلفين، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

* **الفارابي:**

٣٣- فصوص الحكم، رسائل الفارابي، ص ٢٢٤، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٧.

* **فتح الله كولن:**

٣٤- خواطر من وحي سورة الفاتحة، ترجمة: أجيير إشييوك، دار النيل - القاهرة ٢٠١٥م.

* **فرج الله عبد الباري:**

٣٥- العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية، دار الآفاق العربية.

* **الفيروزآبادي** (مجد الدين محمد بن يعقوب):

٣٦- القاموس المحيط، تحقيق: عبد الخالق السيد عبد الخالق، مكتبة الإيمان - المنصورة ٢٠٠٩م.

* **القشيري:** أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري (ت٤٦٥هـ):

٣٧- الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية.

* **كارنيغي:**

٣٨- دع القلق وابدأ الحياة، مكتبة الخانجى- القاهرة ١٩٩٤م.

* **المجلس الأعلى للشئون الإسلامية:**

٣٩- موسوعة العقيدة الإسلامية (١٠)، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.

٤٠- **محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي،** أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ):

٤١- تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

* **محمد عبده:**

٤٢- الإسلام والرد على منتقديه، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٤هـ- ١٩٢٨م.

٤٣- الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، مطبعة المنار بمصر الطبعة الثالثة ١٣٤١هـ.

٤٤- رسالة التوحيد، تحقيق: د/ محمد عمارة، دار الشروق، ط: الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

* **مسلم بن الحجاج النيسابوري** (ت ٢٦١هـ):

٤٥- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

* **مصطفى صبري:**

٤٦- موقف البشر تحت سلطان القدر، المطبعة السلفية ومكتبتها، لصاحبها محب الدين الخطيب، ط: الأولى، القاهرة ١٣٥٢هـ.

* **النورسي:**

٤٧- الشعاعات (٤) كليات رسائل النور ترجمة: إحسان قاسم الصالحي سوزلر للنشر – القاهرة ط الثانية ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م

* **ول ديورانت:**

٤٨- قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل – بيروت - لبنان.

فهرس موضوعات البحث

ملخص البحث باللغة العربية..... ١٥٥٨

ملخص البحث باللغة الإنجليزية..... ١٥٥٩

مقدمة..... ١٥٦٠

سبب اختيار الموضوع: ١٥٦١

أهمية الموضوع:..... ١٥٦١

إشكالية البحث: ١٥٦١

الدراسات السابقة:..... ١٥٦٢

منهج البحث:..... ١٥٦٢

خطة البحث: ١٥٦٢

المبحث الأول: معنى القضاء والقدر ١٥٦٣

١ – القضاء والقدر في اللغة: ١٥٦٣

٢ – المعنى الاصطلاحي للقضاء والقدر: ١٥٦٤

المبحث الثاني: القدر وأفعال العباد الاختيارية. ١٥٦٧

المبحث الثالث: القدر وواقع المسلمين. ١٥٧٥

أ – شبهات حول القدر:..... ١٥٧٦

ب – رد الشبهات ودفعها: ١٥٨١

١– هل القضاء والقدر جبر محض؟ ١٥٨١

٢ – هل القضاء والقدر عقيدة سامِيِّة فقط؟..... ١٥٨٤

٣ – هل القضاء والقدر سبب أزمات المسلمين؟ ١٥٨٥

٤ – هل القضاء والقدر ينافي الأخذ بالأسباب؟ ١٥٨٩

٥ – هل الإيمان بالقضاء والقدر يستلزم الرضا بالمعاصي؟ ١٥٩٢
٧– هل القضاء والقدر لا يناسب التطور البشري؟ ١٥٩٥
المبحث الرابع: أثر الإيمان بالقضاء والقدر وقت الأزمات:..... ١٥٩٨
١ – الشجاعة والإقدام:..... ١٥٩٨
٢ – الصبر:..... ١٥٩٩
٣ – الرضا: ١٦٠٠
٤ – القضاء على القلق وتحقيق السلام النفسي: ١٦٠٢
٥– القضاء على الأمراض القلبية والاجتماعية:..... ١٦٠٣
٦– الحذر والمجاهدة:..... ١٦٠٤
٧ – العز في طلب الحوائج: ١٦٠٥
الخاتمة..... ١٦٠٦
ثبت المصادر والمراجع ١٦٠٨
فهرس الموضوعات..... ١٦١٤

تم بحمد الله تعالى